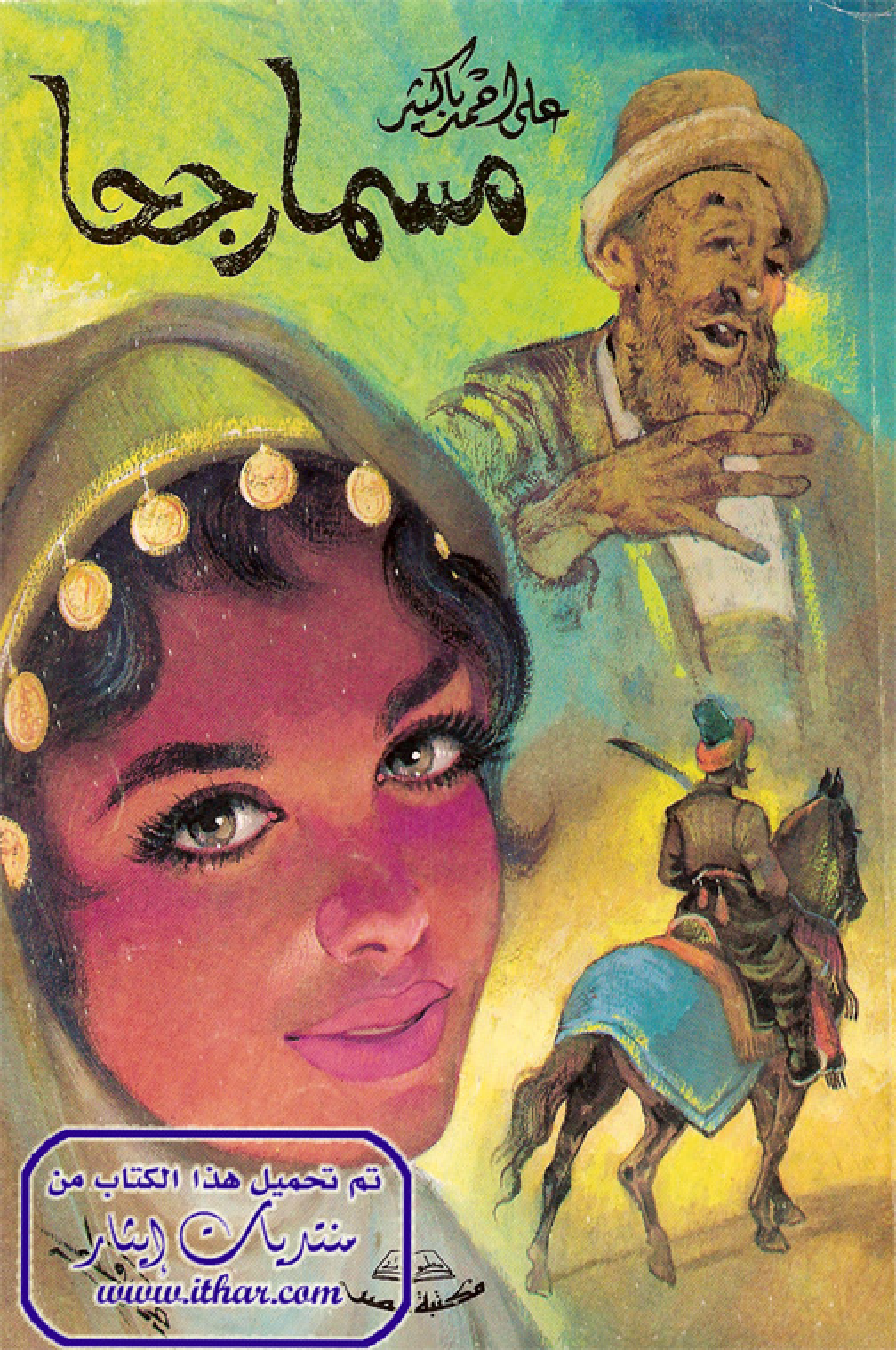


علي أحمد باكثير
مسمار جحا
مكتبة مص

مسمار جحا

مسرحية فكاهية في ستة مناظر

تأليف

علي أحمد باكثير

الناشر :

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هذا نذير من النذر الأولى * أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون ﴾ .

« قرآن كريم »

كلٌّ منّا جُحا !

بقلم الأستاذ الكبير زكى طليمات ،
مدير فرقة المسرح المصرى الحديث ،
ومخرج هذه المسرحية .

من هذا الذى لا يعرف اسم حجا ؟...

ومن ذلك الذى لا يروى له نكتة أو نادرة ؟....

إنه ملء السمع ــ ولا أقول ملء البصر ــ لأن جحا شخصية عاشت فى الزمن القديم ، وليس لنا منها إلا ما عسى أن ينسجه الخيال ، وقد نفذ إلى سجف الماضى ، مستهديا إلى هذه الشخصية ، بما خلفته كتب الأخبار من ملح ونوادر ، منسوبة إلى سيد الفكاهة العربية الأصيلة ...

غير أن جحا ، فى روايتنا هذه يختلف عن جحا المعروف ، ذلك فى أهدافه ومراميه ، وإن اتفق معه فى الوسائل التى يتخذها إلى تحقيق هذه المرامى والأهداف ...

وهل لجحا من وسائل غير الأفكوهة والنادرة والنكتة المملحة ؟...

لقد شاء مؤلف هذه الرواية ، وهو يستجيب إلى قوميته الذبيحة ، وإلى السخط الذى تفور به نفسه ، وقد أمضها ما يلقى الشرق العربى على أيدى المستعمرين ، شاء المؤلف أن يجعل من جحا ، ومن بعض أشخاص

الرواية رموزا وتوريات عن مبادىء وشخصيات سيارة دوارة فى الشرق العربى بأسره ، بين حاكم ومحكوم ، وغالب ومغلوب ؟!....

ثم أخضع حوادث روايته إلى ما يزدحم به الشرق العربى من حوادث وأحداث ، وقد عمد إلى التورية والتعمية ، فهو تارة للإشارة والتلميح ، وتارة أخرى للإفصاح والتصريح ، فإذا أحس المؤلف أنه أسفر فى صراحة مما عسى أن يؤخذ به ، أو يؤاخذ عليه ؛ نراه يتراجع ؛ مداورا ومموها ؛ فيفوت أغراض الحاكمين الذين يملكون أمر معاقبته !...

والمؤلف ، فى هذا كله ؛ يطرق على لسان (جحا) جميع المآسى التى يرزح تحتها الشرق العربى ؛ بأيدى المستعمرين ؛ وبفعل أبنائه الذين يمكنون لهم فى أرضه ، ويجىء عرضه لكل هذا عاما مجملا ، بحيث يحس كل شرقى مستعبد آلامه وآماله ...

هل نرى حقا فى (جحا) رمزا لذلك الجهاد السلبى الذى ينهض به كل شعب شرقى ، تفتحت واعيته للحرية والاستقلال ؟...

وهل نرى فى جحا ، من ناحية أخرى ، أنموذجا للرجل الذى يعمل ظاهرا فى ظل المستعمر أو تحت جناح برادعه ثم هو فى الباطن يعمل على أن يأخذ المستعمر من مأمنه ، وينفذ إليه من خلفه ، ليصرعه ، ثم يكب برادعه وصنائعه على وجوههم كبا ؟..

ومن هو (عبد القوى) شاطر الشطار الذى يحاول أن يضرب البيضة بالحجر ، على ألا تنكسر البيضة ؟...

ألا تثير أقواله وفعاله بالرواية ذكريات عن وجوه عرفناها بمصر

وبالشرق العربى ؟...

ثم .. ما هو هذا المسمار ، (مسمار جحا) ؟..

يقول المؤلف : إنه الدعوى ، أو الذريعة ، أو السبب الذى يدقه المستعمر فى كل بلد ينزل فيه ، ليبرر بقاءه !...

فالمسمار فى مصر .. هو قناة السويس ! وقد يكون الدفاع المشترك .

وفى إيران ... ...

وفى العراق ... ...

وما عليك إلا أن تستعرض أحوال كل بلد شرقى ، للمستعمر فيه أنف ينفخ ، وسم ينفث ، حتى تضع يدك على هذا (المسمار) وقد تسمى بأسماء مختلفة ، للمستعمرين فيه قاموس محيط ، ولهم فى هذا (المسمار) أساليب واستعارات ، بل وأدب كامل ، وسيع الرحاب .

زكى طليمات

المنظر الأول

جانب من سوق الكوفة حيث يقع الجامع الذى يتولى جحا فيه الإمامة والوعظ . ـــ يظهر فى صدر المسرح باب الجامع ومن أمامه مصطبة يجلس عليها جحا للوعظ ، وأمام المصطبة رحبة مفروشة بالرمل هى بمثابة حرم يفصل الجامع عن السوق ويجلس عليها بعض الذين يستمعون إلى الوعظ .

يرى ـــ عند رفع الستار ـــ عباد وحريق واقفين فى الرحبة ومعهما نفر من أعوانهما وهم يتطلعون إلى باب الجامع ويتهامسون كأنما يدبرون أمرا ، وبينهم شيخ فى زى الوعاظ هو أبو صفوان .

عباد : لن ينتهى هذا الشيخ عن غيه حتى يضرب على يده .

حريق : آه لو كان الأمر لى لطرحته أرضا وجثمت على صدره فنتفت لحيته الملعونة شعرة شعرة !!

أبو صفوان : قبحه الله .. يأخذ رزقه من مال الدولة بيده ثم يحرض الناس عليها بلسانه !

حريق : عجبا والله لوالينا كيف صبر عليه إلى اليوم ؟

عباد : إنه مثل الزئبق لا يمسك !

حريق : لكنه لن يفلت من أيدينا اليوم .

عباد : أجل ... علينا أن نتيقظ لكل كلمة يقولها فى وعظه ، فإن لم نستطع أن نأخذ عليه شيئا فلنستدرجه بأسئلتنا إلى ما نريد . تذكر يا أبا صفوان واجبك .

أبو صفوان : سترى منى ما يسرك إن شاء الله .

عباد : (ينظر نحو باب الجامع) ها هم المصلون قد بدأوا يخرجون !.. تفرقوا الآن قليلا ثم تحلقوا فى الصف الأول .

(يتفرق الجماعة يمينا وشمالا)

(يخرج الناس من الجامع فمنهم من انصرف لسبيله ومنهم من وقف فى الرحبة ليجلس لاستماع الوعظ . ثم يظهر الشيخ جحا خارجا من الباب ويتقدم حتى يجلس على المصطبة . يقعد الناس صفوفا فى الرحبة حيث ظهر جماعة عباد فى الصف الأول يتوسطهم أبو صفوان ويكون عباد فى الجانب الأيمن وحريق فى الجانب الأيسر) .

جحا : (يجيل بصره فى الناس والسبحة فى يده يقلب حباتها فى تؤدة ثم يرنو إلى الجالسين فى الصف الأول كأنه يتفرس وجوههم فتعلو فمه ابتسامة غامضة حتى إذا

هدأت الأصوات تنحنح قليلا ثم قال) إنى لأرى اليوم وجوها جديدة ما كانت تغشى مجلسنا من قبل ، فهل ظنوا — يا ترى — أن عندنا اليوم وليمة ؟

(يتغامز الناس وينظر بعضهم إلى بعض وهم يتبسمون) .

عباد : **(يشعر بالحرج من نظرات الناس إلى جماعته)** ألا يحق لنا يا سيدى الشيخ أن نستمع كغيرنا إلى وعظك ؟

جحا : بل يحق لكم كما يحق لغيركم . غير أنى ما أحسبكم صليتم معنا اليوم ، أفتظنون أننى فى وعظى سأحل لكم ترك الصلاة ؟

عباد : لقد صلينا فى جامع آخر ، وإنما جئنا لسماع الوعظ .

جحا : ألم تجدوا من يعظكم هناك ؟

عباد : نريد أن نسمع وعظك أنت .

جحا : هل أنتم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؟

عباد : نسأل الله أن يجعلنا كذلك .

جحا : فهل تعرفون ما سأقول فى وعظى ؟

عباد : لا يا سيدى الشيخ . لا نعرف ما ستقول .

جحا : انصرفوا إذن فلن تفهموا من وعظى شيئا .

(يومئ عباد لحريق أن يقول نعم)

حريق : بلى يا شيخ نعرف ما ستقول !

جحا : (**يوجه حديثه لسائر الجماعة**) تعرفون ما سأقول ؟

الجماعة : نعم .

جحا : اذهبوا إذن فلن تسمعوا منى شيئا جديدا .

(**يتضاحك الناس وقد بدأوا يدركون قصد جحا**)

عباد : منَّا من يعرف (**مشيرا بيده للذين يلون حريقا**) ومنا من لا يعرف (**مشيرا للذين يلونه هو**)

فريق حريق : نعم .. نحن نعرف ما ستقول !

فريق عباد : ولكنا نحن لا نعرف !

جحا : (**يبتسم قليلا**) هيه ... إذن فليشرح الجاهل منكم للعارف ، والعارف للذى هو أعرف ! (**ضحك**)

جحا : (**ولسائر الحاضرين من غير الجماعة**) خذوا يا إخوانى فى التسبيح والاستغفار حتى يكشف الله عنا هذه الغمة !

عباد : (**لا يطيق صبرا**) أى غمة يا شيخ ؟

جحا : أنتم بمعزل عنها فلا تشعرون بها ولكن هؤلاء يفهمون ما أعنى ! (**ثم لسائر الحاضرين**) سبحوا الله واستغفروه !

(**يهمهم جحا والحاضرون بالتسبيح والاستغفار**)

(**يتهامس الجماعة فيما بينهم**)

جحا : (ينظر إليهم) فيم تتهامسون ؟ ألا يعجبكم ذكر الله ؟

عباد : (متجلدا كاظما غيظه) إننا ما جئنا للذكر بل لسماع الوعظ .

جحا : ويلكم . ذكر الله خيرٌ من وعظى (ثم يشير بيده إلى قلبه) ألا بذكر الله تطمئن القلوب !!

(يضحك الناس وقد أدركوا الآن قصده بغاية الوضوح)

حريق : (مغتاظا) بل عرفنا يا شيخ سبب امتناعك عن الوعظ ! إنك رأيت معنا أبا صفوان فخشيت أن ينكشف للناس جهلك !

جحا : أبا صفوان ! وأى شيء أبو صفوان هذا ؟

حريق : لا تتجاهله !

جحا : ويحكم لا تحسبونى أحيط بكل ما فى الأرض وما فى السماء . إنى لأجهل أشياء كثيرة ومنها هذه الكلمة التى لم أسمع بها من قبل !

أبو صفوان : (ينهض غاضبا) تتجاهلنى يا جحا ؟ أنا أبو صفوان !

جحا : (مظهرا الدهش) أنت ؟

أبو صفوان : نعم !

جحا : أنت أبو صفوان ؟!

أبو صفوان : (محتدا) نعم أنا هو ، فماذا تنكر ويلك ؟

جحا : (بهدوء) معذرة يا أخى .. لقد كان على هؤلاء أن يبيِّنوا لى أنهم يتحدثون عن إنسان !!

(ضحك)

عباد : ويلك يا شيخ هل يمكن أن يقال أبو فلان إلا لإنسان ؟!

جحا : لِمَ لا ؟ أما يقال للثعلب أبو الحصين وللشيطان أبو مرة ؟

(يتعالى الضحك فى الصفوف)

جحا : سامحنى يا أبا صفوان ، فما كنت أعلم أنهم كانــوا يعنونك أنت !

أبو صفوان : (كاظما غيظه) يا شيخ جحا إن جازت مغالطتك هذه على هؤلاء الناس فلا تظنَنّ أنها تجوز علَّى . ألم يقل لك حُريق ؟

جحا : (مقاطعا) حُريق ؟ اشرح لى هذا الاسم أولا كيلا أقع فى الخطأ مرة ثانية .

حريق : (مغتاظا) ويلك أنا حريق !

جحا : أهذا اسمك والعياذ بالله ؟

حريق : (يتحرق غضبا) نعم !

جحا : وما اسم ثالثة الأثافى ياترى ؟ (يشير إلى عباد)

عباد : اسمى عباد فماذا تريد ؟

جحا : لا شيء ... معرفة الشيء خير من جهله !

أبو صفوان : لا تتهرب من سؤالى يا جُحا . ألم يقل لك حُريق إنك

خشيت أن ينكشف جهلك وأمامك أبو صفوان ؟

جحا : بلى قد قال ذلك .

أبو صفوان : فواضح أنه كان يعنى رجلا من العلماء يقدر أن يكشف للناس جهلك !

جحا : وى !.. كأنهم جاءوا بك إلى هنا لتكشف للناس جهلى .

أبو صفوان : نعم .

جحا : (**يظهر الخوف والإشفاق**) بالله يا أبا صفوان لا تفعل . ستجد لك جامعا فى حى أفضل من هذا الحى ... فى حى أهله أغنياء تصلك منهم الولائم والهدايا والهبات . أما هؤلاء فلو وجدوا عندى شيئا لأخذوه .

أبو صفوان : من قال لك إنى أطمع فى وظيفتك ؟

جحا : (**فى توسل واستعطاف**) أبق إذن علىَّ ... لا تقطع رزقى ورزق عيالى ... أعفنى أعفاك الله !

أبو صفوان : كلا والله لا أعفيك ... لأكشفن للناس جهلك .

جحا : كأنك تريد أن تناظرنى يا أبا صفوان ؟

أبو صفوان : نعم .

جحا : إذا فأمرى إلى الله ... لكن إن أردت العدل يا أبا صفوان فمنى سؤال ومنك سؤال .

أبو صفوان : قد قبلت .

جحا : فابدأ أنت .

أبو صفوان : أيهما أفضل عند الله : الغنى الشاكر أم الفقير الصابر ؟

جحا : (**يتوقف قليلا**) ...؟

عباد : أجب .

جحا : الغنى الشاكر أفضل .

أبو صفوان : برهانك !

جحا : لأن الغنى الشاكر لا وجود له فى هذه الأيام ، وأما الفقراء الصابرون فهم أكثر من الهم على القلب ولا يحصى عددهم إلا الله !

(**يتعالى الضحك**)

جحا : هل لى الآن أن أسألك ؟

أبو صفوان : افعل .

جحا : أين يذهب القمر عند المحاق ؟!

أبو صفوان : ويلك أهذا سؤال يوجه إلى مثلى ؟ منذا يعلم أين يذهب القمر عند اختفائه فى كل شهر ؟

جحا : هل أقررت بالعجز ؟

أبو صفوان : وهل تعلم أنت ؟

جحا : نعم .. يأخذه أغنياء الجن فيقطّعونه نجوما صغارا تتحلى بها نساؤهم !

(**ينفجر الحضور ضحكا**)

أبو صفوان : (للحاضرين) ويلكم هذا جواب غير معقول ولا برهان له عليه .

أصوات : (من خلال الضحك) فلتقل لنا أنت أين يذهب ؟!

جحا : البرهان يا أبا صفوان بين يديك إن شئت أقمته بنفسك .

أبو صفوان : هيهات ..

جحا : إن أقمته فسيبتهج به قلب امرأتك !

(ضحك)

أبو صفوان : (مستشيطا غضبا) قبحك الله . وأما للنساء حرمة عندك ؟

جحا : لا تغضب فوالله ما قصدت أى سوء . هذا برهان تفرح به كل امرأة . أتحب أن أذكره لك ليزول غضبك ؟

أبو صفوان : هيه ...

جحا : اذهب إلى أولئك الأغنياء فلاطفهم وتملقهم لعلهم يجودون عليك بحفنة من تلك النجوم الصغار فتصنع منها عقدا ثمينا لأم صفوان ! (**يرتج على أبى صفوان من الخجل الشديد ويدرك عباد ألا فائدة ترجى منه فيشير لبعض رجاله فى المؤخرة إشارة خاصة**) .

صوت : (**يرتفع فى أخريات الناس**) يا معشر المسلمين أفسحوا لى السبيل إلى هذا الواعظ .

الحضور : (يتهامسون) أبو سحتوت المرابى .. أبو سحتوت المرابى .

عباد : (يصيح فى الناس) ويلكم .. دعوا هذا الشيخ يتقدم لنرى ما عنده .

جحا : أوسعوا لأبى سحتوت فلعله جاء ليرابيكم ركعة بركعتين . (ضحك)

أحدهم : هذا لا تكفيه ركعتان .

آخر : ولا ثلاث ركعات .

أبو سحتوت : (يظهر أمام جحا) سأريكم الآن كيف خدعتم بهذا الشيخ الذى يعظ الناس وهو يأكل أموالهم بالباطل !

جحا : وهل تأكل أنت أموالهم بالحق ؟ (عاصفة من الضحك)

أبو سحتوت : (غاضبا) أيها السفهاء مم تضحكون ؟

أحدهم : من جبتك المرقَّعة يا قارون !

جحا : ويحكم لا ينبغى أن تسخروا من أبى سحتوت فإنه رجل مسلم !! (يتعالى الضحك من جديد)

أبو سحتوت : (يرتعد غاضبا) تبًّا لك يا شيخ السوء !

جحا : كيف تشتمنى وأنا أنهى الناس عنك ؟ أنا صديقك يا أبا سحتوت .

أبو سحتوت : بل أنت عدوى الألد !

جحا : لعلك تنقم منى أننى أعظ الناس أحيانا فى الرّبا . والله لو استطعت أن أفتيهم بحله إكراما لخاطرك لفعلت !

(ضحك) ..

لكن لا تخف . لن ينقطعوا عن التعامل معك ولو وعظتهم ألف سنة ! إن فى البلد وُعّاظا كثيرين يحضونهم دائما على اللجوء إليك .

عباد : هذا كذب وبهتان . ليس فى وعاظنا من يجيز الربا للناس .

جحا : إنهم لا يجيزونه فحسب بل يفرضونه فرضا .

عباد : من هؤلاء ويلك ؟

جحا : الجيوب الخالية والبطون الخاوية !

أبو سحتوت : دعنى من تُرّهاتك .. أعطنى قدورى التى عندك !

جحا : قدورك ؟

أبو سحتوت : نعم .. القدور التى استعرتها منى فلم تردها إلى .

جحا : يا أبا سحتوت هذا مجلس وعظ وليس بمحكمة . ألا يتطوع أحدكم فيدل هذا الشيخ على طريق المحكمة ؟

أبو سحتوت : إننى أعرف طريق المحكمة !

جحا : فما الذى جاء بك إلى هنا ؟

حريق : هل تخشى أن يطلع الناس على أمرك ؟

جحا : ما عندى شىء أستحى من إبرازه للناس اللهم إلا هذه

اللحية التى لا تريد أن تنتظم أبدا ، ولولا مراعاة السنة لحلقتها كما فعلت أنت بلحيتك !

حريق : (**محتدا**) من قال لك يا خبيث إننى حلقت لحيتى ؟

جحا : فأين ذهبت إذن ؟ هل أكلتها نعجتك وأنت نائم ؟ (**ضحك**) لماذا لم تشبعها قبل أن تنام ؟ (**يتعالى الضحك**) (**يتميز حريق غيظا كمن يهم أن يبطش بجحا لولا أن يومئ له عباد بأن يسكن**) .

عباد : دعونا نسمع ما يقول أبو سحتوت .

أبو ستحوت : أين قدورى يا جحا ؟ أعدها إلى !

جحا : ألم أقل لك إنها ماتت ؟ ألم أعزك فيها يا أبا سحتوت ؟ ماذا أملك لك غير التعزية ؟

أبو سحتوت : (**فى حرقة**) كلا لا بد أن تحييها لى !

جحا : من قال لك إننى أحيى الموتى ؟ لو كان ذلك فى وسعى لأحييت أبى وأمى فهما أجدر بالحياة من قدورك .

أبو سحتوت : اسمعوا ياعباد الله .. إن هذا الرجل يزعم أن القدور تموت !

جحا : اسمعوا ياعباد الله .. إن هذا الرجل يزعم أن القدور تلد كما تلد النساء !

أبو سحتوت : بل أنت الذى زعمت لى ذلك .!

جحا : هبنى زعمت لك هذا المحال فما الـذى حملك على

تصديقى ؟

عباد : قد اعترفت إذن بأن القدور عندك ؟

جحا : نعم كانت عندى فأعدتها إلى أصحابها .

أبو سحتوت : أنا صاحبها وهى ملكى !

جحا : كلا ليست ملكك وإنما استوليت عليها بالربا .

أبو سحتوت : ما شأنك أنت ؟ قد استعرتها منى فعليك أن تردها إلى .

جحا : استعرتها منك لأردها إلى أصحابها وقد فعلت .

أبو سحتوت : (**يصيح**) هذه سرقة ! هذا اغتصاب !

جحا : لا تكذب يا أبا سحتوت . أنت أعرتها لى باختيارك ورضاك .

أبو سحتوت : لأنك خدعتنى واحتلت على أيها المحتال الأثيم !

جحا : هل لك أن تروى للناس كيف احتلتُ عليك ؟

أبو سحتوت : (**يصمت حائرا وهو يتميز من الغيظ**) ...؟

جحا : فسأرويها أنا لكم .. استأجرت قِدرا منه بأربعة دراهم ثم أعدتها إليه ومعها قدر أصغر منها زعمتُ له أن قِدره ولدتْها عندى . فمن فرط شحه وحرصه فـرح بها وأخذها منى دون أن يراجعنى بكلمة . (**ضحك**) ثم عدت إليه بعد أيام وقلت له أعِرْنى القدور التى عندك كلها لأستولدها لك . فقدّمها لى وهو يكادّ يطير من الفرح . وكنت أعرف أصحابها الذين رهنوها عنده

فأعدتها إليهم .. فهل ترونى فى هذا قد أسأت ؟

أصوات : بل أحسنت يا أبا الغصن ! أحسنت وأصبت !

جحا : ثم جاءنى أبو سحتوت يطالب بالقدور وبأولادها معها ! (**ضحك**) فقلت له : أعظم الله أجرك فى قدورك الحبالى فقد ماتت جميعا فى النفاس ! (**يتعالى الضحك**) .. يا معشر المسلمين عَزُّوا أخاكم أبا سحتوت !

أصوات : عزاءك يا أبا سحتوت ! أعظم الله أجرك يا أبا سحتوت !

أبو سحتوت : (**بين الغضب والحسرة على قدوره**) قاتلكم الله أيها السفهاء ! سلَّط الله عليكم من يبدّد أموالكم ويُخرب بيوتكم كما بدّد هذا الشيخ مالى وأخرب بيتى !.. (**فى صوت يخالطه البكاء**) آه .. قدورى ! قدورى !

أصوات : عزاءك يا أبا سحتوت ! أعظم الله أجرك يا أبا سحتوت !

أبو سحتوت : (**يستشيط غضبا**) قبحكم الله ! أين ذهبت عقولكم ؟ أوَ قد صدقتم هذا الكذاب الأشر ؟ هل جُننتم أجمعين ؟ أتصدقون أن القدور تموت ؟!

جحا : يا أبا سحتوت !.. كل حى يموت !

(**ضحك**)

(يومئ للحاضرين أن يرددوا معه) :
توتْ توتْ .. توتْ توتْ ..
يا أبا سحتوتْ !.. كل حى يموت !

الجميع : (يرددون) توت توت .. توت توت ..
يا أبا سحتوت !.. كل حى يموت !
(يحدقون بأبى سحتوت من كل جانب وهم ماضون فى ترديد هذا اللحن)

صوت : (يرتفعْ من أخريات الناس زاجرا) صهٍ يا أوغاد !

الحاضرون : (تخفت أصواتهم ويدور بينهم الهمس) : الـوالى ! الوالى !

عباد : (يصيح بأعلى صوته) أفسحوا لسيدى الـوالى .. انحازوا من طريقه !
(ينحاز الناس يمينا وشمالا فيظهر الوالى ويقف جحا تحية له ثم يجلس ثانية)

الوالى : (يدنو من المصطبة حتى يقف أمام جحا) أمجلس وعظ هذا يا شيخ أم مجال لهو ولعب ؟

جحا : سل هؤلاء يا سيدى الوالى فإنهم لا يميزون بين الجد واللهو ! تبًّا لهم .. فى وقت الجد يهزلون ، وفى أوان الهزل يجدّون ، فلا بجِدّهم ينتفعـون ، ولا بهزلهم يستمتعون !

الوالى : ما أجدرك يا جحا أن تكون قرّادا لإضحاك الناس !

جحا : يا ليتنى كنت قرّادا فأسلم من تبعات الوعظ فى غير طائل . لقد بح صوتى فى إيقاظ هؤلاء دون جدوى . لا يغرنك يا سيدى ما رأيت من ضحكهم وصياحهم فإنما هم نيام فى أحلامهم يضحكون !

الوالى : دعنى من ألاعيبك يا ألعبان . أنت الذى تتعمد إضحاكهم فى مجلس وعظك .

جحا : لا أنكر يا سيدى أننى أضحكهم أحيانا لأطرد عنهم التثاؤب عسى أن يحسنوا الإصغاء إلى وعظى . ولكنى لا أفعل ذلك إلا بمقدار ما يحسن الملح فى الطعام .

الوالى : كهذا الذى رأيناه اليوم ؟

جحا : كلا يا سيدى لا تحكم على وعظى بهذا الذى رأيته اليوم ، فقد انقلب كله ملحا ليس فيه طعام .

الوالى : بل هذا دأبك وديدنك . قد شهدته اليوم بنفسى فلا تحاول أن تخدعنى .

جحا : لكنى يا سيدى ما استطعت اليوم أن ألقى وعظى . لقد شغلنى عنه هؤلاء الأبالسة .

الوالى : كُفَّ لسانك عنهم فإنهم رجالى .

جحا : (يظهر الاستعظام) رجالك ! تبًّا لهم كيف احتلوا الصف الأول وتركوك قائما فى أخريات الناس ؟

الوالى : كفى ثرثرة ! أرنى الساعة كيف تعظ الناس .

جحا : ياليتنى علمت بأنك ستحضر لسماع وعظى .. إذن لأعددت خطبة بليغة تليق بمقامك .

الوالى : بل أريد أن تعظ أمامى كدأبك كل يوم .

جحا : أمرك يا سيدى الوالى مطاع . على أن تكف عنى هؤلاء السفهاء .

عباد : انظر يا سيدى إلى وقاحة هذا الشيخ ! (**يومئ له الوالى بالسكوت**)

جحا : (**يستوى فى مقعده على المصطبة ويقلب بصره فى وجوه الناس**) الحمد لله على نعمه وآلائه ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ، وسيد أصفيائه ، أما بعد عباد الله أوصيكم بتقوى الله وبالإكثار من حمده وشكره على نعمه التى لا تحصى ، وألطافه التى لا تستقصى . فكم لله من نعمة تمرون عليها وأنتم غافلون ، ولقدرها جاهلون . تفكروا مثلا فى نعمة الوجود كيف خلقكم الله من بنى آدم ، ولو شاء لجعلكم قردة وخنازير ! (**يغالب الناس ضحكهم خوفا من الوالى ويبتسم الوالى قليلا ثم يكف**) .

انظروا إلى الشمس والقمر والنجوم كيف جعلها فى السماء بعيدا عن متناول أيدى الناس ، وإلا لاستأثر بها قوم دون قوم !

(**يبدو على وجه الوالى الامتعاض**)

انظروا إلى هذه الجمال التى تجوس خلال شوارعكم موقرة بالغلال والثمار ، كيف لطف الله بكم إذ لم يجعل لها أجنحة تطير ، وإلا لطارت فوق منازلكم فهدَّمتها على رؤوسكم ! (**ينفجر الناس ضحكا**) انظروا ...

الوالى : (**غاضبا**) حسبك يا شيخ ! (**لرجاله**) اصرفوا هؤلاء الناس ! (**ينهض عباد وحريق ورجالهما وقد ظهرت فى أيديهم السياط فأخذوا يضربون بها فى الهواء ليحملوا الناس على الانصراف فينصرف الناس متفرقين**).

الوالى : ويلك يا شيخ السوء . انزل إلى !

جحا : (**ينزل من المصطبة ويقف أمام الوالى**) سمعا يا سيدى . (**يقبل عباد وحريق ورجالهما فيحيطون بجحا**)

الوالى : ويلك يا خبيث .. لقد انكشف لى اليوم أمرك !

جحا : ألم يعجبك يا سيدى الوالى أسلوبى فى الوعظ ؟

الوالى : قبحك الله .. أهذه هى النعم التى ينبغى أن تذكّر بها الناس ؟ أليست لله نِعَم أخرى يا خبيث ؟

جحا : بلى يا سيدى ولكن أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم .

الوالى : كيف ويلك ؟

جحا : هؤلاء كما ترى قوم مساكين ، فلو ذكَّرتهم بالبساتين والقصور والفواكه والرياحين لامتلأت نفوسهم سخطا ، ولمالوا والعياذ بالله إلى الجحود والكفران بدل الحمد والشكران .

الوالى : بل قصدت التعريض بنا وتحريض العامة علينا .

جحا : معاذ الله يا سيدى .. لعلى خانني التوفيق فى كلامى اليوم .

الوالى : بل هذه عادتك يا شيخ السوء . أتحسبنى لا تبلغنى أقوالك ؟

جحا : لعلها تنقل إليك محرَّفة .

الوالى : (فى لهجة صارمة) كلا !

جحا : هل لك يا سيدى أن تذكر لى طرفا مما بُلِّغته لعله رُوِى لك مقلوبا فأعدله لك ؟

الوالى : ماذا قلت فى خطبة العيد يا رأس الفساد ؟

جحا : رأس الفساد دفعةً واحدة ؟ أستغفر الله يا سيدى .. هذا شرف لا يستحقه واعظ مثلى مهما أساء وأفسد ، وإنما يستحقه أرباب المناصب الكبيرة إذا طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد !

الوالى : (**غير مكترث لما قال**) ماذا قلت فى خطبة العيد ؟!

جحا : قلت يومئذ كلاما كثيرا فأى شىء أنكرتموه علىَّ ؟

الوالى : اذكر لنا ما قال يا عباد .

عباد : إنه قال يا سيدى : وددتْ لو أن الله قد جعل أيامكم كلها أعيادا !

أبو صفوان : (**واقفا بجانب حريق يتمتم بصوت خافت**) أعوذ بالله .. هذا اعتراض على الله ... هذا كفر !

حريق : (**يهمس له**) قل ذلك للوالى ليعاقبه على كفره !

(**يجبن أبو صفوان فلا يجيب**)

الوالى : (**يتهجاها كلمة كلمة**) وددت لو أن الله جعل أيامكم كلها أعيادا .. (**ثم بحدَّة**) ويلك ألم تقل هذا ؟

جحا : بلى يا سيدى هذا حق .

الوالى : ماذا قصدت ؟ فسِّر غرضك !

جحا : إنك يا سيدى أطعمت الفقراء والمساكين يوم العيد ، فتمنَّيتُ لو دام لهم هذا الخير طَوال أيام السنة .

الوالى : قبحك الله .. أتتمنى على الله المُحال ؟ ألم تعلم أن الله لم يجعل لنا سوى عيدين فى السنة ؟

الوالى : بلى يا سيدى ، ولذلك استدركت فى كلمتى تلك فقلت . وإذ سبقتْ حكمته عز وجلَّ ألا يجعل لكم غير عيدين فى السنة ، فياليته سبحانه وتعالى أغناكم عن الطعام فيما عداهما من الأيام .

أبو صفوان : (**يتمتم كالمرة الأولى**) أعوذ بالله من الزيغ والكفر !

حريق : (**ينغزه بكوعه هامسا**) ويلك قل للوالى ذلك !
(**يصمت أبو صفوان كالمرة الأولى**) .

جحا : (**يلتفت إلى عباد**) ألم أقل ذلك يا عباد ؟ اشهد بالحق !

الوالى : (**ينفجر غاضبا**) كفى يا عدو الله ! هاأنتذا قد أقررْت الآن بجريمتك !.

جحا : أى جريمة ؟ أتعتبرون تمنِّى الخيرَ لهؤلاء البوساء جريمة ؟ إنها أمنيِّة لم تتحقَّق على كل حال !

الوالى : اذهبْ فإنك معزول !

أبو صفوان : (**يتنفس الصعداء مسرورا**) الحمد لله !

أبو سحتوت : أعزّك الله يا سيدى الوالى .. أعزّك الله !

جحا : إن لم يعجبكم وعظى فانقلونى إلى وظيفة أخرى أعول بها أهلى وأولادى !

الوالى : (**بصرامة**) كلا ما عندنا لك شيء !

جحا : ما ذنب أهلى وعيالى ؟ إن امرأتى أم الغصن ما ألقت موعظة قط ولا تمنت فى حياتها خيرا لأحد ، فما ذنبها وما ذنب الغصن ابنها وميمونة أخته ؟

عباد : مولاى الوالى غير مسئول عن أهلك وعيالك ! من قال لك تزوج .

حريق : أجل ... من قال لك تزوج ؟

جحا : صدقت يا لسان النار ! قاتل الله من تزوج قبلى فلم

يعظنى ، ومن تزوج بعدى ولم يستشرنى !

الوالى : اسكت ... والله لولا إبقائى على شيخوختك لما اكتفيت بعزلك . ولو علم صاحب الأمر بما كان منك لأمر بقطع رقبتك !!

جحا : (فى هدوء) صاحب الأمر ! منذا تعنى بصاحب الأمر ؟ سلطاننا المعظم أيده الله ؟ أم ذلك الذى تحتل جنوده البلاد ؟

الوالى : (غاضبا) ما أنت وذاك قبحك الله ؟

جحا : إن كنت تعنى سلطاننا المعظم فإنه أبر وأكرم من أن يقطع رقبة رجل تمنى الخير لرعيّته . وإذا كنت تقصد الحاكم الأجنبى الدخيل فما أهون أمرى عنده ما بقيت جنوده رابضة فى الثغر !

الوالى : (يستشيط غضبا) خذوا هذا السفيه !

(يهجم عليه الشرطة آخذين بتلابيبه وثيابه من كل جانب) .

عباد : إلى السجن يا سيدى ؟

جحا : (**مبادرا**) نعم خذونى إلى السجن فأنجو من أظافر امرأتى أم الغصن ومن لسانها السليط !

الوالى : كلا بل سوقوه إلى داره !

جحا : (**يدفعه الشرطة ويجرونه جرا**) ربى السجن أحب إلىّ

مما يسوقوننى إليه ! اقطعوا رقبتى ولا تسوقونى إلى أم الغصن !

الوالى : سوقوه إلى امرأته !

أبو سحتوت : (**يرفع يديه فى ابتهال**) يارب ، يا جبّار يا منتقم ألهم امرأة هذا الظالم أن تنشب أظافرها فى حلقه حتى يموت !

جحا : (**يبتهل مثله**) يا رب استجب دعوة عدوك هذا المرابى الملعون ، حتى يقتدى به عبادك أجمعون !

أبو سحتوت : (**ماضيا فى دعائه وهو يحرك شفتيه فى حرقة وابتهال**) أظافرها فى حلقه حتى يموت !

حجا : يا أبا سحتوت . كل حى يموت (**صائحا بأعلى صوته**) توت توت توت !.. كل حى يموت !

أصوات : (**من بعيد هى أصوات أولئك الذين تفرقوا عن المجلس**) توت توت توت !.. كل حى يموت ...

(**ستار**)

المنظر الثانى

حجرة صغيرة ينبىء كل ما فيها عن الخصاصة ورقة الحال . يُرى عن يمينها دهليز صغير يؤدى إلى سلم البيت .

وللحجرة باب ينفذ إلى الدهليز وباب آخر (على يسار المسرح) يؤدى إلى داخل المنزل .

(يرفع الستار عن جحا قادما من الخارج يخلع جبته وعمامته وتساعده ابنته ميمونة وكلها عطف عليه) .

جحا : أين أمك يا ميمونة ؟

ميمونة : فى الحجرة الثانية .

جحا : وعلمت بما حدث ؟

ميمونة : نعم .. بلغها من الجيران .

جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

ميمونة : الحمد لله يا أبى إذ لم يصيبوك بسوء .

جحا : لا أخاف يا ميمونة إلا من لسان أمك .

ميمونة : (تنظر إلى الباب الأيسر) صـ صـ صـ .

جحا : (بصوت خافض) يا ستار استر .

أم الغصن : (**تظهر على الباب باديا فى وجهها الشر**) هذا أنت قد عدت .

جحا : نعم ... الحمد لله ...

أم الغصن : على ماذا ؟ على خيبتك ؟ انتظر حتى ينصرف الضيوف من عندى . سترى ما أصنع بك . (**تخرج**) .

جحا : اللهم اكفنى شرها بحولك وقوتك . من ذا يا بنتى عند أمك ؟

ميمونة : من ذا يجىء عندها غير الخاطبات ؟ خاطبة تجىء وخاطبة تذهب .

جحا : يالها من حمقاء ! يأكلن طعامنا ولا يصنعن لها شيئا .

ميمونة : (**متوسلة**) أخشى يا أبت أن ....

جحا : كلا لا تخافى يا ميمونة .. لن أزوجك لغير ابن عمك . لن ندع هذه السفيهة تفرض رأيها على وعليك .
(**يتقدم نحو المشجب فيأخذ جبته فيرتديها ثانية**)

ميمونة : (**تستغرب فعله**) ما هذا يا أبى ؟

جحا : (**كالذاهل الذى لا يعقل ما يفعل**) تبًّا لى ... هل لبست الجبة مقلوبة ؟ (**ينظر إلى الجبة عليه**) .

ميمونة : كلا ما لبستها مقلوبة ... ولكن لماذا ارتديتها ثانية ؟ .... والعمامة أيضا؟.

جحا : (**يكوِّر العمامة على رأسه**) لا تصلح الجبة يا بنتى بغير

عمامة .

ميمون : ما خطبك يا أبى ؟ أتريد أن تخرج ؟

جحا : نعم يا ميمونة .. الخروج الآن أفضل لأبيك وأسلم !

ميمونة : إذا خرجت الآن فستعود على كل حال . وحينئذ يتضاعف سخطها عليك . خير لك أن تواجهها الآن وتنتهى !

جحا : صدقت يا بنتى .. (**يقعد قليلا ثم ينهض واقفا**) لكن لا صبر لى على هذا الانتظار القاتل .. سأخرج قليلا لأروح عن نفسى .

ميمونة : إذا كنت أنت تخافها هذا الخوف فياويلى منها !

جحا : ماذا تخافين أنت ؟

ميمونة : ماذا أخاف ؟. ستكرهنى على ما تريد دون أن يكون لى حام ولا نصير !.

جحا : تكرهك على ما تريد ؟ أين أنا إذن ؟. ويحك يا بنتى أتحسبيننى حقا أخافها ؟ إنما أتقى شر لسانها فقط . (**يتنهد**) آه من لى بواحد من أولئك الحواة المهَرة ليعلمنى كيف ينتزعون ألسنة الأفاعى فلا يخشى منها شر ؟

(يهم جحا بالخروج من الباب الأيمن . ولكنه يسمع حركة انصراف الزائرات ونزولهن فى السلم فيتوقف)

ميمونة : هاهن قد خرجن يا أبى فاخلع الجبة والعمامة .. ماذا تقول أمى إذا رأتهما عليك ؟ عجل !

جحا : إى والله لا سبيل الآن إلى الخروج . (**يخلع جبته وعمامته من جديد**) اللهم اللطف بعبدك !

ميمونة : تشجع يا أبى ... لا تدعها تغلبك !

جحا : الله المعين (**يتجلد كمن يتأهب لخطر داهم**)

ميمونة : أغلظ لها القول ولا تلن . صِحْ فى وجهها إذا صاحت فى وجهك .

جحا : (**بصوت خافض**) صه صه صه !

(**تدخل أم الغصن من الباب الأيمن**)

أم الغصن : ها قد فرغت لك يا أخيب الخياب ! (**تلتفت إلى ميمونة**) ما وقوفك أنت هنا ، أما عندك من عمل ؟

ميمونة : قد فرغت من عملى فى المطبخ .

أم الغصن : والغسيل . هلا نشرته فى السطح ؟

ميمونة : السماء ما زالت غائمة .

أم الغصن : وستبقى غائمة إلى الأبد ! أتطمعين يا بنت جحا أن ينقشع الغيم وعندنا غسيل ؟ هذا مستحيل . اصعدى الآن فانشريه .

(**تخرج ميمونة من الباب الأيمن دون أن تنبس ببنت شفة**) .

أم الغصن : (**تلتفت إلى جحا وهى تتحرق ثم تصيح فى وجهه**) هيه إذن فقد عزلوك يا خاسر يا خائب يا ....

جحا : (**يهب فى وجهها بلهجة أعنف من لهجتها**) أوه ... وأى شىء فى ذلك كل ولاية مهما تطل مدتها فمصيرها العزل !!

أم الغصن : (**تذهلها هذه الصيحة من جحا فتلين لهجتها شيئا ما**) طالما نصحتك يا رجل فلم تنتصح !

جحا : (**يشعر بنجاح خطته فيستمر فى إغلاظ لهجته**) لا حاجة بى إلى نصائحك !!

أم الغصن : هذه عاقبة طول لسانك .

جحا : أوه .. ماذا عند الواعظ غير طول اللسان !!

أم الغصن : (**فى شىء من الحدة**) خبرنى من أين تنفق علينا بعد اليوم ؟

جحا : (**برقة ولطف**) يا أم الغصن الرزق بيد الله .

أم الغصن : (**تزداد حدَّة**) نعم بيد الله لكنه ليس فى يدك .!

جحا : سيكون فى يدى حين أكتسب .

أم الغصن : (**بحدة أشد**) ما شاء الله .. ماذا تنوى أن تصنع بعد ؟ جربت الزراعة فكان يفشو فى زرعك الدود أو يأكله الجراد . وجرَّبت العطارة فأفلس دكانك مرة بعد مرة . وجرَّبت ....

جحا : (**يعود إلى حدته صائحا**) بس .. حسبك يا امرأة ! سأبحث لى عن عمل فإن لم أجد فسأشتغل حطابا .

أم الغصن : حطابا !

جحا : نعم .

أم الغصن : والله لو اشتغلت حطابا فلن يدعك حظك التعس حتى تجد الحطب قد اختفى من البريَّة فتنكب الحطابين معك .

جحا : (**يرتاع مما سمع**) أعوذ بالله من شر لسانك !

أم الغصن : بل من سواد حظك يا منحوس ونكد طالعك !

جحا : (**متضعضع اللهجة**) أجل لو لم أكن منكود الطالع ما بُليت مع عقلى وحكمتى بامرأة مثلك .

أم الغصن : (**عالية اللهجة**) هيه .. أيٌّ منا ابتلى بصاحبه . أنا أم أنت ؟

جحا : (**فى تضعضعه**) كلانا نُكب بصاحبه . أنت نكبت بذى عقل محسوب عليه عقله من رزقه ، وأنا نكبت بخرقاء مسرفة لا تبقى ولا تذر .

أم الغصن : (**تزداد لهجتها علوا**) مسرفة ! مبذرة ! كأنما لك فضل مال يمكن فيه الإسراف والتبذير ! وكأنما لم نعش طول عمرنا مقترا علينا فى كل شيء !!

جحا : يا هذه لا تكفرى بنعمة الله !

أم الغصن : (**بلهجة أشد**) متى وجدت نعمة الله عندك يا رجل ؟!

جحا : (**تبدأ لهجته فى العلو**) إن نعمته عندنا لموفورة ، ولكنك تضيعينها بإسرافك وإهمالك !

أم الغصن : (**تبلغ أوج العنف**) ما شاء الله ! الآن أضفت الإهمال إلى الإسراف !!

جحا : (**مهاجما بعنف**) نعم ! لولا إهمالك ما أكل القط لحمنا مرة

بعد مرة !!

أم الغصن : (تلين لهجتها) ما ذنبى ؟ قد قلت لك مرارا اطرُدْ هذا القط من بيتنا فلم تفعل .

جحا : (ماضيا فى عنفه) وما ذنب القط ؟ إذا ترك له اللحم فأكله فالحقُّ على الذى تركه لا على الذى أكله !

أم الغصن : (فى انكسارها) هذا القط الخبيث لا يعييه شىء . إنه ليتسلل إلى حيث اللحم بألف حيلة وحيلة .

جحا : (فى سخرية) ياله إذن من قط عبقرى ! لو كان لى بعض ذكائه وكفايته لفتحت العالم !

أم الغصن : ماذا تريد أن تقول !

جحا : اسمعى يا أم الغصن . إن احتملت منك هذا فيما مضى فلن أحتمله اليوم بعدما انقطع عنا هذا المورد من الرزق . إياك ثم إياك أن تسمعينى حكاية القط مرة أخرى !

أم الغصن : (تثور من ألم الوخزة) هيه .. كأنك تريد أن تتهمنى .. ما بقى إلا هذا !

جحا : كلا لا أريد أن أتهم أحدا الآن ، ولكن والله لئن فقدنا اللحم مرة أخرى لأهتدين إلى الجانى سواء أكان قطا خبيثا أم قطة ماكرة !

الغصن : (يسمع صوته ينادى) أمى ! أمى !

جحا : (يتمتم) لكأنّى بك قد عرفتَ الجانى يا بنىّ !

أم الغصن : ماذا تقول ويلك ؟

جحا : إنه يقول : أمّى ! أمّى ؟!

أم الغصن : أصمّ الله سمعك ! إنما هو ينادينى !

جحا : معذرةً .... ظننته ....

الغصن : (**صوته**) أمى ! أمى !

أم الغصن : نعم ماذا تريد يا غصن ؟

الغصن : أنا هنا تحت فأين أنت ؟

أم الغصن : ويلك .. أنا هنا فوق ... ماذا تريد ؟

الغصن : أريد أن أراك .. هل تنزلين أنت تحت أم أطلع أنا فوق ؟

أم الغصن : اطلع أنت .!

الغصن : إذن فانتظرينى .. هأنذا طالع !

جحا : سبحان الذى أخرج هذا الولد من صُلبى !

أم الغصن : أى عجب فى ذلك ؟

جحا : حقا لا عجب وقد خرج من بطنك وارتضع من لبنك !

أم الغصن : الولد سرّ أبيه !

جحا : الإناء الفاسد يفسد كل ما وضع فيه .

الغصن : (**يدخل**) عجبا .. هذا هو أبى عندك يا أمّى .

أم الغصن : نعم .. ماذا تريد ؟

الغصن : أحقا عزلوا أبى من الإمامة والوعظ ؟

أم الغصن : (**محتدة**) هلا سألت أباك فهو أمامك ؟

الغصن : (**يلتفت إلى أبيه**) أحقا يا أبى عزلوك من الإمامة والوعظ ؟

جحا : نعم يا بنى .

الغصن : إذنْ فلن تصلى بعد اليوم ؟

جحا : (**متضاحكا**) بلى يا بنىّ ولكن لن أصلى بالناس .

الغصن : لن تصلى بالناس فبمن تصلى ؟

جحا : لن أصلى بأحد . لن أكون الإمام .

الغصن : مسكين أنت يا أبى .. لكن لا تبتئس . ستبقى أنت الإمام وأصلى أنا خلفك ، فإذا قلت : « ولا الضالين » فسأرفع صوتى فوق أصواتهم جميعا وأقول : « آمين ! » (**يقولها بأعلى صوت**) (**يتضاحك أبوه وأمه**) .

الغصن : (**كمن يتذكر شيئا نسيه**) خبِّرينى يا أماه أما رأيت عرجون اليوم ؟

أم الغصن : خيبك الله .. ترانا فى هذه الحال وتسألنى عن ديكك ؟

جحا : (**ملاطفا ابنه**) ما بال ديكك يا غصن ؟ ألم يزلْ محزون القلب على دجاجة الجيران صاحبته ؟

أم الغصن : (**لزوجها**) وتجاريه أيضا فى حمقه وغباوته ؟

جحا : (**يعرض عنها ملتفتا إلى ابنه**) لا تبتئس يا بنى فسيجد عرجون دجاجة أخرى خيرا من تلك التى فقدها .

الغصن : (**فى ألم**) لكن أين هو عرجون الآن ؟ لقد ضاع منى

عرجون نفسه !!

أم الغصن : (فى اهتمام بالغ) ضاع ؟ أليس هو فى حظيرة الدجاج ؟

الغصن : (فى أسى) لا .

أم الغصن : أين ذهب ؟ لقد رأيته فيها الصبح .

الغصن : ذهب معى اليوم إلى سوق الفراخ فلم يعد .

أم الغصن : خيبك الله ، ولماذا أخذته إلى سوق الفراخ ؟

الغصن : أردت أن أشترى له دجاجة جميلة كالمرحومة صاحبته .

أم الغصن : هيه ... وماذا فعلت به ؟

الغصن : فرّجتهُ على الدجاج هناك فلم تعجبه واحدة منهن .. ليس فيهن مثل دجاجة الجيران .. جازاهم الله ... ذبحوها دون أن يشفقوا على حبيبها المسكين !

(يضحك جحا)

أم الغصن : (نافدة الصبر) أوه ... ماذا جرى لديكك بعد ذلك ؟ هل فرّ من يدك ؟

الغصن : كلا ولكنى أطلقته وقلت له : ارجع يا عرجون قبلى إلى الدار .

أم الغصن : ما شاء الله (تحاكيه فى كلامه ساخرة) ارجع يا عرجون قبلى إلى الدار !!

جحا : (متلطفا) لمَ لم ترجع به يا بنىّ كما ذهبت به ؟

الغصن : كنت أريد أن ألعب مع رفاق فى الشارع .

أم الغصن : ما أغباك ! من قال لك إنه يعرف طريق الدار ؟

الغصن : كيف لا يعرف طريق دارنا فى النهار وهو يعرف وقت أذان الفجر فى الظلام ؟

جحا : (**متعجبا مما سمع**) صدقت يا غصن . (**يدنو منه مواسيا**) هوّن عليك يا بنىّ ، أنت ضاع منك الديك وأنا ضاعت منى الوظيفة !

الغصن : (**يتملص من يد أبيه**) كلا .. سأبحث عن عرجون فى كل مكان حتى أجده .. لا أستطيع أن أعيش بدون عرجون (**ينطلق خارجا**) .

جحا : سبحان الذى جعل له هذا الذهن العجيب دون أن ينفعه به !

أم الغصن : مثلك تماما .. أى فرق بينك وبينه ؟ هو أضاع الديك بحمقه ، وأنت أضعت الوظيفة أيضا بحمقك !

جحا : (**متفلسفا فى صوت وقور كأنما يخاطب نفسه**) أضعتها بحمقى يا ترى أم بعقلى ؟!

أم الغصن : بحمقك لا ريب ؟

جحا : (**ماضيا فى تفلسفه**) أى فرق بين هذا وذاك ؟ النتيجة واحدة ! عاقل أنا أو أحمق . النتيجة واحدة . هكذا الدنيا فما أجهل من يأسى فيها على فائت !

(**تظهر ميمونة فى الدهليز متسللة وهى تضع يدها على**

فمها كأنها تومئ لشخص أمامها أن اسكت . ثم يظهر حماد من الجانب الآخر فيقفان هنيهة ينصتان) .

أم الغصن : أجل روح عن نفسك بهذا الكلام الفارغ الذى لا تجيد سواه !

جحا : (**كمن ينتبه من غفلته**) هونى عليك يا أم الغصن .. إن ضاعت وظيفة الوعظ فسيعوضنا الله عنها خيرا .

الغصن : أبشر إذن بطول الجوع والفقر !

جحا : يا هذه لا تتشاءمى ولا تقنطى من رحمة الله !

أم الغصن : (**غير مصغية إليه**) ثم أبشر ببقاء ابنتك عانسا حتى يبيض منها الشعر !

جحا : ويحك ما شأن هذا بابنتى ؟

أم الغصن : من ذا يتزوجها اليوم بعد ما علم الجميع بعزلك من عملك ؟

جحا : صاحبها موجود ، وفى وسعنا أن نزوجها له فى أى وقت نشاء .

أم الغصن : (**ساخرة**) تعنى حماد ابن أخيك ؟

جحا : نعم ... ماذ بحماد ؟ إنه قد تلقى شيئا من العلم ، وله ذكاء وعقل .

أم الغصن : قلت لك ألف مرة : لن أزوج ابنتى لفلاح !

جحا : سبحان الله وهل كنت أنا إلا فلاحا ابن فلاح ؟ وهل كنت

أنت إلا ابنة حمار بن حمار ؟

أم الغصن : (**بعد صمت قصير**) إن الناس قد نسوا أصلى وأصلك ، وقد كنت موشكة أن أظفر لميمونة بزوج وجيه محترم ، ولكن عزلك من عملك قد أفسد علينا كل شىء !

(**يقبل عليها جحا ملاطفا متحببا وهى تتجافى عنه**)

جحا : يا أم غصن لعل الله أراد أن يحبط مسعاك حتى تكون ميمونة لابن عمها حماد (**تنسحب ميمونة من الدهليز ويتنحنح حماد كأنه يشعر من فى الحجرة بقدومه**) .

حماد : (**مناديا**) يا عم جحا !

جحا : (**فرحا**) حماد .. ادخل يا حماد !

(**يدخل حماد فيصافح عمه وامرأة عمه التى تنظر شزرا إليه**) .

جحا : اجلس يا حماد (**يجلس حماد**) هل بلغك ما وقع اليوم يا بنى ؟

حماد : نعم .. بلغنى كل شىء .. لا بأس يا عمى فلكل شدة فرج ولكل ضيق مخرج .

جحا : أشر على يا حماد فإنك لذو رأى . هذه خالتك أم الغصن قد ظلت تعنفنى طويلا على ضياع الوظيفة كأنما أبواب الرزق قد سدت كلها فى وجهى وكأنما سنموت جوعا .

حماد : (**يبتسم**) كلا يا خالة ... مثل عمى جحا فى عقله وحكمته لن تسد فى وجهه أبواب الرزق .

أم الغصن : أجل قد نوى بعقله وحكمته أن يشتغل حطابا !!

جحا : وأى شىء فى ذلك ؟

حماد : كلا يا عمى .. لم يبلغ الأمر بعد إلى هذا الحد .

جحا : فماذا تقترح على ؟

حماد : تستأجر لك أرضا بجوار أرضى فنزرعها معا ، وما ينتج من الجميع يكون لنا شركة .

أم الغصن : الله الله ! تريد أن تجعل من عملك فى آخر عمره فلاحا مثلك !

حماد : ثقى يا خالتى أننى سأكفيه كل ما يشق من العمل ، فلن يقوم بغير السهل الهين منه .

جحا : لكن من أين لى يا حماد ما أستأجر به الأرض ؟

حماد : (**بدون توقف**) تبيع هذه الدار .

أم الغصن : (**مزمجرة**) قبح الله رأيك ، أين تريدنا أن نسكن ؟ فى الشوارع والسكك ؟

حماد : سأنزل لكم عن كوخى وسأبتنى لى كوخا صغيرا أقيم فيه قريبا منكم !

جحا : هذا والله هو الرأى يا بنى .

أم الغصن : كلا .. لن نسكن بعد الدار فى كوخ ... ماذا يقول الناس عنا ؟

جحا : ما شأننا بالناس ؟ ليقولوا ما شاءوا .

أم الغصن : ما شاء الله .. الناس تتحول من دار إلى دار خير منها . وأنت تنقلنا من دار حقيرة إلى كوخ ! ثم من يدرى ماذا بعد

الكوخ ؟ لعلنا ننام بعد ذلك فى العراء ! كلا والله لا أدعك تبيع هذه الدار أبدا !

جحا : ويلك أين عقلك ؟ ماذا نصنع بدارنا هذه إذا انتقلنا إلى الريف ؟ أننقلها معنا ؟

أم الغصن : كلا لن نبرح البلدة لنقيم فى الريف .. لن نعود فلاحين فى آخر العمر !

جحا : ويحك لأن نشبع فى الريف خير من أن نجوع هنا فى البلدة .

أم الغصن : لتجيعننا هناك كما أجعتنا هنا .. أوَ تظن يا شيخ أنك ستفلح فى زراعتك ؟ والله ليأتين الجراد على زرعك ولتفلسن كما أفلست من قبل !

جحا : أعوذ بالله .. فأل الله لا فألك !

حماد : (**يحاول التهدئة**) رويدك يا خالتى أم الغصن .. قد انقطع الجراد منذ سنين فما عدنا نراه والحمد لله .

أم الغصن : نعم .. انقطع منذ ترك عمك الزراعة وسيعود إذا عاد . (**لجحا**) إن شئت يا شيخ أن تنكب الفلاحين بنحسك فهلم ازرع !

جحا : (**يعتريه الخوف والإشفاق**) أعوذ بالله من شر لسانك ! (**يرفع بصره إلى السماء**) يارب لم جعلت لسانها كأنه قلم القدر يخط فى لوح الغيب ما سينزل على رأسى من المصائب والنكبات !!

حماد : (**مبتسما**) ويحك يا عمى تلومها على التشاؤم وأنت تفعل

مثلها وأكثر !

جحا : كيف لا أتشاءم يا حماد وهذا القلم المشئوم فى فمها لا يجف له مداد ؟ (**يسمع دق الطبول النحاس من بعيد فيرتاع جحا وحماد**) .

حماد : يا إلهى ما هذا !

(**تنهض أم الغصن فى خفة وقد بدا فى وجهها شىء من الفرح مشوب بالشماتة فتقف بجانب الشباك مستطلعة**) .

جحا : (**يتمتم**) اللهم الطف بعبادك !

حماد : يا ويلنا .. هذى طبول نحاس ! (**يستوى واقفا فى ذهول**) .

أم الغصن : (**تلتفت إليه شامتة**) أوَ تريدها طبول فضة وذهب ؟!

جحا : (**يلحظها شزرا وهو فى مكانه لم يتحرك**) أعوذ بالله !

(**تدخل ميمونة مرتاعة**)

ميمونة : ما بقاؤك هنا يا حَماد ؟ الحق مزرعتك !

جحا : ماذا جرى يا ميمونة ؟

ميمونة : الجراد يا أبى .. الجراد ! رأيته من السطح قد سدت أرجاله الأفق !

أصوات : (**تسمع من الخارج**) الجراد ! الجراد !

جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله ... انطلق يا حماد !

أم الغصن : (**ساخرة**) انطلق إلى وفود اليُمن والخير والبركة فبلغهم

تحيات عمك !

ميمونة : (تنظر إلى أمها فى استياء وعتب) ......؟

أم الغصن : إنهم وفدوا لتهنئة أبيك على الأرض المباركة التى سيزرعها !

حماد : السلام عليكم (يهرول نحو الباب ليخرج فيظهر الغصن ويستوقفه) .

الغصن : حماد ألم تر عرجون يا حماد ؟

حماد : عرجون ؟

الغصن : نعم .. عرجون ديكى العزيز . أما قابلته فى طريقك ؟

ميمونة : (تجذب يد الغصن عن حماد) دعه يا هذا ينطلق إلى مزرعته وابحث أنت عن ديكك .

(يخرج حماد)

الغصن : (يدور فى الحجرة باكيا) ديكى . ديكى ! ضاع ديكى .

الأصوات : (من خلال قرع الطبول) الجراد ! الجراد !

جنحا : (يرفع بصره إلى السماء) اللهم لا اعتراض على حكمك !

أم الغصن : (فى شماتة بالغة) ألم أقل لك ؟ هذه نيتك وحدها قد جلبت الكارثة على رؤوس الفلاحين فكيف لو ....

جنحا : (يهب واقفا ويصيح فى وجهها مزمجرا) اخرسى يا ملعونة ! اغربى عن وجهى ! (كأنما يهم بضربها) اغربى عنى يا أم الشؤم ! يا بنت اللؤم ! يا أخت البوم ! ياريح السموم ! يا شجرة الزقوم !

أم الغصن : (**تتقهقر نحو الباب الأيسر**) سمعا يا أبا النوائب ! يابن الزرائب ! يا خائب ؟ يا سائب ! يا شائب ! يا عائب ! يا جلاب المصائب !

الغصن : (**يستأنف صياحه وبكاءه بعد ما وقف هنيهة يستمع إلى شجار أبيه وأمه**) . عرجون ! عرجون ! أين أنت الآن يا عرجون ؟ أين أنت يا زين الديوك ؟ لا ريب أن اللصوص سرقوك ! (**يتخيل المشهد أمامه كأنه يراه**) نعم نعم ، ففى الطريق وجدوك . لا أمك ولا أبوك . ولا أختك ولا أخوك ، ويلهم ، انقضوا عليك وأخذوك . وأنت تصيح : كوك كوك .

تبا لهم ما رقوا لك ولا رحموك . (**تجحظ عيناه رعبا**) يا ويلتاه بالسكين هددوك وروعوك ! (**يصيح صيحة ألم**) آه . ذبحوك ! ذبحوك ! (**يغمض عينيه لحظة ثم يفتحهما ثانية**) وى ! قد نتفوا ريشك ونظفوك !. وى ! فى القدر طرحوك . وعلى النار طبخوك . وى وى . قطعوك وأكلوك ! (**يترنح فى ألم**) كوك كوك كوك !

(**يتهاوى على الأرض فيخف لنجدته أبوه وأخته ليواسياه وتظهر أم الغصن على الباب**)

(**ستار**)

المنظر الثالث

فى دار جحا قاضى قضاة الدولة ببغداد .. حجرة واسعة يدل ما فيها من الأثاث الفاخر الجديد على النعمة واليسار . للحجرة بابان . أحدهما (على يمين المسرح) يؤدى إلى الخارج ، والآخر (على اليسار) يؤدى إلى داخل الدار . لوحتان معلقتان فى الجدار كتبت على إحداهما : « وأما بنعمة ربك فحدث » وعلى الأخرى : « كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

(الوقت : الصباح الباكر)

(يرى جحا ــ عند رفع الستار ــ جالسا على الأريكة والسبحة فى يده يقلب حباتها وهو يتمتم وعلى وجهه سحابة من الغم والحيرة) .

جحا : (يرفع بصره إلى السماء) . اللهم إنى فى حيرة من أمرى : لا أدرى أفى نعمة أنا فأشكرك ، أم فى فتنة فأستغفرك ؟ اللهم اكشف عنى هذه الحيرة واهدنى سواء السبيل ! (يقوم فيتناول المصحف من الرف فيفتحه فما ينظر فيه حتى تلحقه روعة فيتمتم) :

ومن يتوهم منكم فإنه منهم .. ومن يتوهم منكم فإنه منهم !

(تدخل أم الغصن من خلفه)

أم الغصن : سبحان الله .. تقرأ المصحف وأنت واقف ! لا نفع إذن لهذه الأرائك والوسائد !

جحا : (**يفيق من استغراقه فيطبق المصحف ويعيده إلى مكانه فى الرف**) .... ؟

(تدخل زيتونة من الباب الأيمن)

أم الغصن : هيه .. من الذى كان يقرع الباب البرّانى ؟

زيتونة : شاب يا مولاتى ذو هيئة حسنة (**تلتفت إلى جحا**) يريد يا سيدى مقابلتك .

جحا : قولى له إنى لا أقابل أحدا فى دارى ، فإن شاء مقابلتى فليجئنى فى ديوان القضاء .

زيتونة : سمعا يا سيدى (**تخرج**) .

جحا : ويلى من هؤلاء الناس لا يستطيعون أبدا أن يصدقوا أن صاحب الحق يصل إلى حقه بغير الرشوة .

أم الغصن : ألا تقابله فترى ما عنده ؟

جحا : هذا ليس من شأنك .

أم الغصن : من أين تعلم أنه جاء لرشوتك ؟ ربما جاء لأمر آخر .

جحا : ليخطب ابنتك فى وجه الصبح ؟

أم الغصن : لم لا ؟ كل شيء محتمل .

جحا : يا هذه ظللت زمنا تطلقين خاطباتك كالشواهين والصقور فما استطعن حتى اليوم أن يجئنك بصيد سمين . أفتطمعين أن يسعى الصيد السمين بنفسه ليقع فى فخك ؟

أم الغصن : تريد أن تحجزها لحماد ابن أخيك .. لكنى لن أبلغك ما تريد !!

زيتونة : (**تدخل**) الرجل يلح فى مقابلتك يا سيدى قائلا إنه عبد القوى الكاتب .

جحا : عبد القوى الكاتب ! ويلك قولى له يدخل ! انطلقى !

(**تخرج زيتونة منطلقة**)

(**تقع عين جحا على اللوحتين المعلقتين فى الجدار فينزلهما ويضعهما على أحد الرفوف**)

أم الغصن : (**محتجة**) لماذا أنزلتهما ؟ دعهما فى مكانهما يا رجل .

جحا : وضعهما هنا أفضل .

أم الغصن : ما فعلت هذا إلا لتغيظنى يا قليل الدين .. هاتان آيتان من كتاب الله !!

جحا : يا عجوز السوء إن الله ما أنزل القرآن لتتخذى أنت من آياته وسيلة لمباهاتك وفخفختك : (**يخرج لاستقبال ضيفه**) ..

أم الغصن : لأعلقنهما على رغم أنفك : (**تأخذ اللوحتين من الرف**

فتعلقهما حيث كانتا من قبل) لا بارك الله من جعلك قاضى قضاة المسلمين : ... عبد القوى الكاتب : ترى ما الذى جاء به الساعة ؟ يارب اجعلها بشرى خير ! (تجيل بصرها فى أرجاء الحجرة) الحجرة غير مكنوسة .. لعنة الله على هاتين الجاريتين : وجودهما وعدمهما سواء . (تصلح بعض الوسائد على الأريكة) كل هذا من ميمونة .. هى التى تفسدهما علىّ ! (تقف هنيهة كأنها تفكر فى أمر ثم يبدو فى وجهها السرور) : الحمد لله .. عندنا اليوم عصيدة ! (تخرج مهرولة من الباب الأيسر) .

(يدخل جحا وعبد القوى) .

جحا : (يتقدم ضيفه نحو الأريكة) مرحبا بك يا عبد القوى .. اجلس . (ينظر إلى الجدار فيرى اللوحتين معلقتين من جديد فيظهر فى وجهه شىء من الامتعاض)

عبد القوى : (يجلس) لا ريب يا قاضى القضاة أنك تعجب لمجيئى إليك فى هذا الصباح الباكر .

جحا : (يزول امتعاضه وتحل محله البشاشة) لا يا عبد القوى .. ما تركت لى الأيام من شىء أتعجب منه .. لعلك سمعت عن عصيدة أم الغصن فاشتهيت أن تذوق منها اليوم .

عبد القوى : (ممازحا) اطمئن يا أبا الغصن على فطورك فما جئت

لأشاركك فيه !

جحا : (**مبتسما**) بل اطمئن أنت على بطنك من المغص فلن نقدم لك شيئا منه .

عبد القوى : (**ينفجر ضاحكا**) ما أحسب طعامكم من الرداءة كما وصفت . لعلك تريد أن تزهدنى فيه لئلا أطلبه ... إنكم يا أهل الكوفة لمعروفون بصنع الأطعمة الفاخرة ! نحن أهل بغداد نتحدث بذلك .

جحا : (**ينظر نظرة خاطفة فى اللوحتين المعلقتين**) هل تحسب امرأتى من نساء الكوفة المشهورات بتجويد الطعام ؟ هذه — أجارك الله — ولدت فى قرية حقيرة هناك .

عبد القوى : (**يغالب ضحكه**) لكنكم أقمتم بعد ذلك زمنا طويلا فى مدينة الكوفة .

جحا : نعم ولكن طهيها لم يتغير .. نفس الأطعمة الغليظة التى تفسد المعدة والكبد وتبلد الذهن وتعمى القلب .

عبد القوى : إن ذكاءك الخارق ليكذّب ما تقول .

جحا : ذلك أنى ما اعتلفت من طعامها إلا بعد أن اشتد عودى فنجوت من سوء أثره . ولكن لو رأيت ابنى الغصن الذى نشأ على علفها لتعجبت كيف خرج هذا الولد من صلب إنسان عاقل .

عبد القوى : (**يضحك**) ما زادنى حديثك هذا إلا إغراء بأن أجرب

فآكل من طعامكم .

جحا : عافاك الله .. إن شئت تجربته فجرّبه أولا على دابتك .

عبد القوى : (**يقهقه ضاحكا**) إنك يا أبا الغصن لتظلم أم أولادك . هذا الأثاث لا يؤيد صدق ما تزعم .

جحا : (**يلمح اللوحتين المعلقتين**) أوَ قد غرك المظهر ؟ حقا إن زيها قد تبدل منذ أن صارت امرأة قاضى قضاة الدولة فى بغداد فأصبحت تلبس مثل البغداديات المترفات المتأنقات . ولكن خلقتها ظلت كما هيه . أما خلقها ــ والعياذ بالله ــ فقد صار أسوأ مما كان إذ أفسدها البطر فأصبحت لا تطاق !

عبد القوى : (**يضحك**) حسبك الله يا أبا الغصن ، إنما كان حديثنا عن الطعام .

جحا : فكذلك طعامنا قد اختلفت آنيته اليوم ، فلم نعد نأكل فى صحاف الخشب السود ، بل صرنا نأكل فى أطباق الصينى الأبيض الناصع . ولكن الطعام نفسه ــ أجارك الله ــ بقى كما كان . وما أحسبك يا عبد القوى تشتهى أن تأكل الآنية ذاتها بل ما فى الآنية !

عبد القوى : (**يقهقه ضاحكا**) حسبك الله يا أبا غصن . ما أظرف حديثك !

جحا : هيه .. كأنك ما زلت تشك فى صحة قولى (**ينهض**)

والله لأذيقنك من طعامنا لتنطلق من عندنا إلى الطبيب البيطرى !

(يخرج مهرولا)

عبد القوى : (**يضحك مليا حتى يمسح الدمع من عينيه**) حسبه الله .. ما رأيت مثله حسن مدخل ولطف مخرج ! خشى أن أعتذر عن طعامه فطفق يستدرجنى بحيلته حتى وقعت فى قبضته .

جحا : (**يدخل**) الآن ستفصل التجربة بينى وبينك !

(**تدخل خلفه زيتونة وصابحة إحداهما تحمل خوانا « كالطبلية » فتنصبه أمام الأريكة والأخرى تحمل طبقا كبيرا « كالصينية » عليه صحاف وأقداح فتضعه على الخوان المنصوب**)

جحا : (**للجاريتين**) أحسنتما .. (**تخرجان**) .

عبد القوى : (**باسما**) قد غلبتنى يا قاضى القضاة !

جحا : (**يجلس ليؤاكل ضيفه**) ويحك يا صاحب الوجهين من ذا يستطيع أن يغلبك ؟

عبد القوى : (**يضحك**) لو شئت يا قاضى القضاة أن يكون لك مائة وجه لأمكنك ، فهيهات لذى وجهين أن يقدر عليك !!

جحا : هيا إذن كل .. هذه عصيدة شهية لا تجد مثلها لا عند صاحبك الحاكم ولا عند صاحبك السلطان ! إن امرأتى

أم الغصن لا تحسن شيئا فى الحياة سوى صنع الطعام !

(**يأخذ الرجلان فى الأكل**)

جحا : (**يلمح اللوحة التى عليها : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية**) فى مذهبها أن الله ما خلق الجن والإنس ليعبدوه بل ليحشوا بطونهم !

عبد القوى : (**يضحك قليلا ثم يكف عن الضحك فجأة**) ويحك يا قاضى القضاة لقد شغلتنى نكاتك فأنستنى أن أحدثك فيما جئت من أجله .. إن مولانا السلطان يريد أن تقابله .

جحا : مولانا السلطان !

عبد القوى : نعم .. أمرنى أن أستدعيك لمقابلته اليوم .. إنه شديد الشوق إلى لقائك .

جحا : (**يتغير وجهه قليلا كالمتردد**) لكن ...

عبد القوى : لا تخف فلن يعلم أحد غيرنا بأمر هذه المقابلة ... سأوصلك أنا إليه بنفس الطريقة التى أتردد بها عليه .

جحا : كلا يا عبد القوى لست خائفا من ذلك ، ولكنى لا أدرى بأى وجه أقابله ــ أيده الله ــ وأنا أسير فى ركاب هذا الحاكم الدخيل !

عبد القوى : ما هذا يا قاضى القضاة ؟ قد قلت لك مرارا إنه يعلم حقيقة حالك . ألا ترى كيف يثق بى وأنا كاتب هذا الحاكم الدخيل أعمل فى خدمته ليل نهار ؟

جحا : حقا إنك لعجيب .

عبد القوى : لو تعلم يا قاضى القضاة كيف يعزك مولانا السلطان ويثنى عليك !

جحا : واخجلتاه .. هذا عطف لا يستحقه مثلى !

عبد القوى : لِمَ لا ؟ إنه يرجو الكثير منك فى سبيل الوطن ! لقد رويت له أمس تلك النكتة اللاذعة التى أرسلتها فى مجلس الطاغية منذ أيام ...

جحا : فماذا قال أيّده الله ؟

عبد القوى : طرب لها كثيرا وضحك حتى استلقى على قفاه وهو يقول : والله ماله غير جحا ... والله ماله غير جحا !

جحا : (**يتهلل وجهه سرورا**) بشرك الله بالخير يا عبد القوى . هذا والله أحب إلى نفسى من كل ما طلعت عليه الشمس .

جحا : (**يصمت قليلا ثم يقول**) خبرنى الآن عن هذا الأجنبى الدخيل ما حقيقة رأيه فىّ ؟

عبد القوى : قد علمت أن رأيه فيك جميل وأنه يقدرك ويجلك .

جحا : نعم ... هذا ظاهره ، وإنما أسألك عن باطنه .

عبد القوى : إنه فى الحقيقة رجل لا يسبر غوره ... ولكن باطنه لا يعنيك بقدر ما يعنيك ظاهره لأن هواه تبع لمصلحته !

جحا : الحق أنى شديد العجب مما يبديه هذا الرجل لى من المودة

والحفاوة .

عبد القوى : لا عجب فى ذلك ، فالخدمة التى قدمتها له لم يقدّم مثلها له أحد . إنك أنقذته من ثورة عامة كانت توشك أن تزلزل أركان نفوذه فى البلاد .

جحا : لكنه يعلم لا شك أننى كنت متواطئا مع ابن أخى حماد الذى قاد تلك الثورة .

عبد القوى : وماذا يعنيه ذلك ؟ لقد رأى الفلاحين يثورون على ملاك أراضيهم عقب كارثة الجراد ، ورأى الوزير علقمة صنيعته يشتد فى قمع تلك الثورة ليرضى نصراءه الملاك ، حتى زادها اشتعالا فكادت تعصف بنفوذ هذا الدخيل . ثم جئت أنت إليه فى تلك اللحظة الحرجة فأسعفته بالحل الحاسم والدواء الناجع . فماذا يعنيه بعد ما استتبت له الحال أكان لك باع فى تلك الثورة أم لم يكن ؟

جحا : لله أنت يا عبد القوى .. ما أنفذ ذهنك فى غوامض الأمور !

عبد القوى : والله ما أعجب إلا منك ومن ابن أخيك كيف استطعتما ــ وأنتما لم تمارسا السياسة ولم تخبرا أسرارها ــ أن ترسما تلك الخطة العجيبة فأصبتما هدفين برمية واحدة : حققتما مطالب الفلاحين المنكوبين وخلصتما البلاد من عهد علقمة البغيض !

جحا : لو عرفت كيف وقع هذا كله لأضحكك !

عبد القوى : كيف ؟

جحا : أنا كنت السبب فى نكبة الفلاحين !

عبد القوى : ماذا تقول ؟

جحا : أنا جلبت الجراد عليهم بشؤمى ونكد طالعى .

عبد القوى : إنى لا أفهم ما تعنى ..

جحا : (**يقدم الطعام له**) كل أولا .

عبد القوى : هأنذا آكل .. (**يأكل**) .

جحا : لما عزلنى فيروز والى الكوفة من الإمامة والوعظ خطر لى أن أعود إلى فلاحة الأرض ، ولكن امرأتى أم الغصن استنكفت أن تعود فلاحة كما خلقها الله ، فأخذت تجادلنى وتعارضنى — كلْ يا عبد القوى ؟

عبد القوى : أتمم .. هأنذا آكل .

جحا : وكان حماد ابن أخى يؤيدنى فى رأيى . فلما رأت العجوز تصميمى على ذلك طفقت تنذرنى بأن الجراد سيأكل زرعى إن عدت إلى الزراعة ، وسأنكب بذلك سائر الفلاحين معى . فاستعذت بالله من قولها لعلمى أنها امرأة مشئومة ما تطيرت بسوء قط إلا وقع كفلق الصبح ..

عبد القوى : (**يضحك**) ويحك يا قاضى القضاة لشد ما تظلم امرأتك !

جحا : لا والله يا عبد القوى .. أتدرى ماذا وقع ؟

عبد القوى : هيه ..

جحا : إننا لفى ذلك النقاش و لم يغادر أحد منا مجلسه إذ سمعنا طبول النحاس تدق ، وإذا أرجال الجراد تسد الأفق !

عبد القوى : (**يضحك**) فى نفس الساعة !!

جحا : إى والله فى نفس الساعة ، ومن النية وحدها فكيف لو قرنتها بالعمل !

عبد القوى : (**ضاحكا**) ثم ماذا جرى بعد ذلك يا أبا الغصن ؟

جحا : جاءنى ابن أخى بعد أيام يشكو لى أن الجراد لم يبق له على شىء ، وأن مالك أرضه استولى على أبقاره وماشيته وجميع ما فوقه وما تحته ، وأن هذه حال سائر الفلاحين . عندئذ تعاظم شعورى بأننى كنت السبب فيما حاق بهؤلاء المنكوبين ، وأن على أن أكفر عن ذنبى بعمل ما فى سبيلهم ، فكان هذا الذى اتفقت مع ابن أخى عليه : فقاد هو الثورة ، وفاوضت أنا الحاكم ... ما بالك لا تأكل يا عبد القوى ؟

عبد القوى : الحمد لله .. قد أكلت فأكثرت (**يمسح يده بالمنديل**) . أين ألقاك الليلة لأذهب بك إلى السلطان ؟

جحا : اقترح أنت !

عبد القوى : فى جامع المنصور عقب صلاة المغرب ؟

جحا : حسن .

عبد القوى : (يحاول أن ينهض) ائذن لى الآن يا أبا الغصن .

جحا : أنا ذاهب إلى الديوان . انتظر لحظة لأخرج معك (يخرج من الباب الأيسر) .

عبد القوى : (يتمتم) سيكون له فى كفاحنا شأن !؟ هذا العقل الكبير لا ينبغى أن يذهب سدى .

(يعود جحا مسرعا وقد ارتدى جبته وعمامته فيخرجان من الباب الأيمن) .

(تدخل زيتونة وصابحة فتقتربان من اللوحتين المعلقتين وهما تتلفتان جهة الباب فى حذر بالغ) .

صابحة : (بصوت خافض) ويلك ماذا تقول أم غصن حين تراهما فى الرف ؟

زيتونة : ستظن أن الشيخ هو الذى أنزلهما فتتميز غيظا دعيها تنفلق

(تسمع حركة قادم فتسرعان إلى إنزال اللوحتين من الجدار ووضعهما على أحد الرفوف) .

(تدخل ميمونة فتنظر إحدى الجاريتين إلى الأخرى كأنما تتنفسان الصعداء إذ لم تكن أم غصن هى القادمة وتبتسمان) .

ميمونة : ما خطبكما ؟ ماذا تصنعان ؟

زيتونة : لا شىء يا سيدتى .. دخلنا لنرفع هذه الصحاف .

(ترفع إحداهما الطبق والأخرى الخوان فتخرجان متغامزتين)

ميمونة : (تجيل بصرها فى أنحاء الحجرة) يا للعيب .. جاء الضيف والحجرة غير مكنوسة . (تنطلق فى خفة نحو الباب فتخرج ثم تعود ومعها مكنسة ومغرفة للكناسة فتأخذ فى كنس الحجرة ، تبتسم وهى تحدث نفسها)
سيجىء اليوم حماد ! سيتغدى عندنا اليوم حماد !

(تدخل أم الغصن)

أم الغصن : (فى استياء وغضب) ماذا تصنعين يا وضيعة الأصل ؟ ألم أقل لك مرارا ألا تمسى المكنسة بيدك ؟

ميمونة : دعينى يا أماه أتم كنس الحجرة قبل أن يجىء ضيف آخر .

أم الغصن : (فى صرامة) ارمى المكنسة من يدك ! ماذا تصنع جوارينا فى الدار إذن ؟ يأكلن ويشربن وينمن ؟!
(تنادى بأعلى صوتها) زيتونة ! زيتونة !

(تدخل زيتونة مسرعة فى خوف)

زيتونة : نعم يا مولاتى .

أم الغصن : ويلك يا ملعونة !... تتركين سيدتك ميمونة تكنس لك ..
أين كنت ؟.

زيتونة : كنت أمشط شعر الغصن .

أم الغصن : (**تستشيط غضبا**) أيتها الوقحة .. قولى : سيدى الغصن .. إنه سيدك !!

زيتونة : معذرة يا مولاتى .. كانت منى زلة لسان .

أم الغصن : إن فعلتها مرة أخرى سللت لسانك من حنكك ؟!

زيتونة : سمعا يا مولاتى .

أم الغصن : ماذا تنتظرين ؟ خذى المكنسة !

زيتونة : سمعا يا مولاتى سمعا (**تأخذ المكنسة من يد ميمونة التى كانت تنظر وتسمع فى صمت . تشرع زيتونة فى الكنس**) .

أم الغصن : (**تنظر مكان اللوحتين فتجدهما موضوعتين على الرف**) من أنزل هاتين اللوحتين من الجدار ؟

ميمونة : (**تهز كتفيها**) ....؟

أم الغصن : أنت يا زيتونة ؟

زيتونة : لا والله يا مولاتى .. وجدناهما هكذا حين رفعنا الصحاف !

أم الغصن : (**تتنهد وتنظر إلى ميمونة**) أبوك القليل الدين !!

(**تعلقهما أم الغصن ثانية وفى خلال ذلك تنظر ميمونة إلى زيتونة كالمستفهمة فتبتسم زيتونة فتبتسم هى**) .

الغصن : (**يسمع صوته مناديا**) زيتونة ! يا زيتونة ! تعالى مشطى شعرى ! أين أنت ؟

زيتونة : (مجيبة بصوت عال) أنا هنا يا سيدى .. سأعود إليك حالا (تسرع فى الكنس)

الغصن : (صوته) زيتونة ! زيتونة !

أم الغصن : انطلقى إلى سيدك !

زيتونة : (تفرغ من الكنس) حالا يا مولاتى .. سأغرف هذه الكناسة .

أم الغصن : (بغلظة) دعى ما فى يدك ! لبى أولا نداء سيدك ! (تترك زيتونة ما بيدها لتخرج) أين صابحة ؟ أين هذه الجارية الملعونة ؟

زيتونة : لعلها فى المطبخ يا مولاتى .. سأدعوها لك حالا (تخرج) .

ميمونة : لو كنت تركتنى يا أماه لفرغت من كنسها قبل الآن .

أم الغصن : كلا لا تكنسى ولا تعملى شيئا .

(تدخل صابحة)

أم الغصن : الآن جئت يا ملعونة بعد ما كنست سيدتك ميمونة الحجرة ؟

صابحة : (فى انكسار) معذرة يا مولاتى ... ما كنت أدرى أنها ستكنس الحجرة .... يا ليتها أخبرتنى .

أم الغصن : هيا اغرفى تلك الكناسة ثم انطلقى فاكنسى حجرة الحريم قبل أن يجىء الضيوف .

صابحة : سمعا يا مولاتى (تجمع الكناسة وتغرفها ثم تخرج)

أم الغصن : (لميمونة) كل هذا منك ! ما أفسد هاتين الجاريتين غيرك !

ميمونة : إن بقيت على هذه الحال فسيعترينى الكسل ثم لا أصلح بعدها لشىء .

أم الغصن : لأى شىء تريدين أن تصلحى ؟ للكنس والطبخ ؟ ماذا يحوجك اليوم إلى ذلك ؟

ميمونة : لكنى لن أبقى عندكم إلى الأبد .

أم الغصن : أوَ تظنين أننى سأزوجك لصعلوك من الصعاليك ؟ والله لا أزوجك إلا لثرى كبير من أبناء الأعيان وأرباب القصور .

ميمونة : (كالساخرة) من أبناء الأعيان وأرباب القصور !

أم الغصن : نعم ... ألا تعرفين اليوم ابنة من أنت ؟

ميمونة : أنا ابنة الشيخ جحا الذى كان فلاحا ثم واعظ قرية !

أم الغصن : اسمعى يا ابنتى وافهمى ما أقول : جحا الواعظ وجحا العطار وجحا البدال وجحا الفلاح .. كل هؤلاء قد ماتوا جميعا وأكلهم التراب ، فإياك أن تذكريهم أمامى مرة أخرى . أنت اليوم ابنة جحا قاضى قضاة الدولة . أتفهمين ؟

(يدخل الغصن مرتديا حلة جديدة صفراء وعلى رأسه قلنسوة حمراء وهو يختال عجبا)

أم الغصن : إلى أين يا غصن ؟

الغصن : سأخرج إلى رفقائى يا أماه لألعب معهم .

أم الغصن : من هم رفقاؤك ؟ حذار أن يكونوا من أولاد الرعاع المتسكعين فى السكك ؟

الغصن : كلا يا أمى ... كلهم من أولاد العيون ؟

أم الغصن : طلعت عيونك ! قل من أولاد الأعيان !

الغصن : نعم من أولاد الأعيان (**ثم لنفسه كأنما يتحفظها لئلا ينساها**) الأعيان ... الأعيان ... الأعيان .

أم الغصن : (**ترنو إليه معجبة**) أما والله إنك لجميل فى هذه الحلة يا غصن ؟

الغصن : (**مزهوا بنفسه**) ياليتك رأيتنى لما خرجت فيها أمس ، كيف أخذت الأعيان كلها تتطلع إلى !

أم الغصن : العيون ياولد ! قل العيون !

الغصن : (**فى حيرة**) قلت العيون فى الأول فقلت الأعيان ، فلما قلت الأعيان الساعة رجعت فقلت العيون !

أم الغصن : أوه ! قل إذن ما يعجبك !

الغصن : أشكرك يا أماه (**يتوجه نحو الباب الأيمن ليخرج**)

أم الغصن : (**تستوقفه**) مهلا يا غصن . خبرنى أولا إذا سألوك ابن من أنت فماذا تقول لهم ؟

الغصن : سأقول لهم : أنا ابن الدولة !

أم الغصن : قطع لسانك . قل : ابن قاضى قضاة الدولة كما لقنتها مرارا لك !

الغصن : (فى انكسار) ابن قاضى قضاة الدولة .

أم الغصن : فخمها قليلا .

الغصن : ابن قاضى قضاة الدولة فخمها قليلا !

(تنفجر ميمونة ضاحكة بعدما غالبت الضحك طويلا)

أم الغصن : خبرينى يا ابنة جحا ممن تضحكين ؟ من أخيك هذا الأبله أم منى ؟

ميمونة : (**مسترسلة فى الضحك**) منكما معا !

أم الغصن : آه يا فاجرة !

ميمونة : ما حيلتى إذا كنت بعملك هذا تضحكين حتى الحجر ؟ والله لئن تماديت فى هذا لينقلبن أخى مجنونا !

أم الغصن : يا عاقة ، يا قليلة الأصل إنما أعلمه كيف يخاطب الناس وألقنه آداب السلوك من أجلك .

ميمونة : (**متعجبة**) من أجلى ؟!

أم الغصن : نعم من أجلك أنت ليكون عنوانا حسنا لك فلا يستنكف أبناء البيوتات من خطبة أخته التى هى أنت !

ميمونة : (**فى سخرية**) أشكرك يا أماه وأرجو أن تكفى نفسك كل هذا العناء من أجلى !

أم الغصن : (**تنفجر ثائرة**) واحر قلباه منكم . قاتلكم الله جميعا من والد وما ولد.أقتل نفسى كدا وتعبا لأرفعكم فى عيون الناس وتأبون إلا اللصوق بأصلكم الوضيع . غورى الآن من وجهى !

(**تخرج ميمونة من الباب الأيسر دون أن تتفوه بكلمة**)

الغصن : (**يلتفت إلى أمه مكتئبا**) أغاضبة أنت منى يا أماه ؟

أم الغصن : (**حانية عليه**) كلا يا بنى بل من أختك هذه العاقة !

الغصن : (**ينظر إليها مليا فى رقة واستعطاف**) هل لى أن أخرج الآن ؟

أم الغصن : انتظر قليلا . دعنى ألقنك مرة أخرى ، أصغ إلى جيدًا .

الغصن : نعم يا أماه .

أم الغصن : إذا سألك أحد : ابن من أنت فقل له هكذا (**ترفع رأسها فى عظمة وتفخم الكلمات**) أنا ابن قاضى قضاة الدولة !

الغصن : (**محاكيا أمه**) أنا ابن قاضى قضاة الدولة !

أم الغصن : قلها مرة ثانية .

الغصن : أنا ابن قاضى قضاة الدولة !

أم الغصن : (**تضرب على صدره بيدها معجبة راضية**) بوركت يا بنى . اخرج الآن إلى رفاقك (**يهم الغصن بالخروج**) مهلا يا غصن .

الغصن : (فى يأس) هل أقولها مرة ثانية ؟

أم الغصن : لا لا يابنى .. هل معك فلوس فى جيبك !

الغصن : (**يحرك جيبه فيسمع رنين الفلوس**) نعم يا أماه .

أم الغصن : مرحى يا بنىّ ! لا بأس أن تُسمع رنينها هكذا لأصحابك . ولكن حذار أن تدعهم يأخذونها منك . لا تُخرجها من جيبك أبدا ! أسمعهم رنينها فقط .

الغصن : (**يحرك جيبه مرة أخرى**) هكذا ؟

أم الغصن : نعم ... اخرج الآن .

(**يتلفت الغصن وراءه كالخائف أن تستوقفه أمه مرة أخرى ثم ينطلق خارجا كالسهم**)

أم الغصن : (**واقفة وحدها**) ماذا أصنع لهذه البنت ؟ الضيوف قادمون وهى عابسة غاضبة ! (**كأنما عنَّت لها فكرة**) ليس لها غير زيتونة ! (**تتوجه نحو الباب الأيسر**) زيتونة ! زيتونة !

زيتونة : (**صوتها**) لبيك يا مولاتى ! (**تظهر على الباب**)

أم الغصن : أين سيدتك ميمونة ؟

زيتونة : فى غرفتها يا مولاتى تبكى .

أم الغصن : اصعدى إليها فتلطفى بها فإنها تحبك وتسمع لك .

زيتونة : سأفعل يا مولاتى .

أم الغصن : سرى عنها ولا تدعيها حتى تغسل وجهها وتسرح شعرها

وتأخذ زينتها كاملة !

زيتونة : سمعا يا مولاتى (**تخرج**)

(تهم أم الغصن أن تخرج وراء زيتونة ولكنها تتراجع إذ تسمع وقع أقدام من جهة الباب الأيمن)

أم الغصن : ترى من هذا ؟ أوَ قد حضر الشقى حماد من الآن ؟

(يدخل جحا)

أم الغصن : أهو أنت ؟

جحا : ألم يجىء حماد بعد ؟

أم الغصن : (**فى تجاهل وازدراء**) حماد ؟

جحا : ألم أخبرك أنه سيتغدى عندنا اليوم ؟

أم الغصن : أوَ هذا وقت الغداء ؟ نحن فى أول الضحى يا شيخ !

جحا : ومن قال لك إننا سنتغدى الآن ؟ إنما بعثت إليه أن يحضر الساعة لأحدثه فى شأن من الشئون .

أم الغصن : هيه .. علمت أن ضيوفا سيزورننا اليوم ليخطبوا ميمونة فأردت أن تكيد لنا أنت وابن أخيك !

جحا : ما أسوأ ظنونك ! والله ما خطر هذا ببالى قط ! وإنى عن ذلك لفى شغل شاغل .

أم الغصن : ... كلا ... مارجعت من الديوان إلا لهذا . إنى أعرف مكايدك ومكايد حماد ! والله لأطردنه إذا جاء !

جحا : (**غاضبا**) تطردين ابن أخى من دارى وأنا دعوته ؟

أم الغصن : نعم .. لن أدعه يكيد لى وأنا أنظر !

جحا : (**يلين لهجته قليلا**) ويحك ... ما حقدك على حماد ؟ ما ذنبه عندك ؟

أم الغصن : لن يهدأ بالى حتى أزوج ميمونة لغيره .

جحا : إذا رضيتْ بذلك فافعلى ...

أم الغصن : هذه طائشة لا تعرف مصلحتها ، وما دام حماد هذا يتردد علينا فستظل مفتونة به .

جحا : إنه ابن أخى فكيف تبغين أن أوصد بابى فى وجهه ؟

أم الغصن : ينبغى أن يعرف هو واجبه فينقطع عنا إبقاء على مقامنا فى عيون الناس . عار علينا أن يعرفوا أن ابن أخيك فلاح !

جحا : (**يرفع رأسه إلى السماء**) أستغفرك يارب ! ما أعلم أننى جنيت فى حياتى ذنبا أستحق عليه هذا العقاب المقيم !

أم الغصن : لكنى أعرف الذنب الذى عوقبتُ من أجله بك . خرشنى يوما قِط كان عندنا وأنا فتاة عذراء فألقيت به من أعلى السطح فتهشم رأسه ومات !

جحا : أعوذ بالله !

حماد : (**يسمع صوته من جهة الباب الأيمن**) يا عم جحا !

جحا : (**يتنفس الصعداء**) حماد ؟ ادخل يا بنى !

حماد : (**يدخل**) السلام عليكم !

جحا : وعليكم السلام (**يصافحه حماد ثم يصافح أم الغصن**)

اجلس يا بنى ماذا أخرك ؟

حماد : هل تأخرت قليلا يا عمى ؟ لقد ظننت أنى سبقت الموعد بقليل .

أم الغصن : نعم سبقت موعد الغداء بكثير !

جحا : مالنا وللغداء الآن ؟ هيا اتركينا وحدنا الساعة .

أم الغصن : بل سأبقى عندكما ... لست غريبة !

جحا : يا هذه أريد أن أحادثه على انفراد .

أم الغصن : كلا .. لا أدعكما تأتمران بى وبضيوفى ! اسمع يا حماد ... اليوم ستخطب ميمونة لابن آل العمرى أصحاب القصر الأبيض فى الكرخ . فانفض يدك منها وأرح نفسك . لا تقف دون بختها إن كان فيك بقية من خير ! اخطب يا أخى من تشاكلها وتشاكلك !

جحا : يا هذه لا تضيعى وقتى بترهاتك فإنى عائد إلى الديوان بعد قليل .

أم الغصن : أبقى لك عمل فى الديوان اليوم ؟

جحا : نعم .

أم الغصن : ما شاء الله ! تركت عملك الذى منه عيشك وجئت لتتحدث مع حماد ! ما أراك إلا ساعيا فى عزلك من منصبك .

جحا : (**متحرقا**) نعم من أجل أن أكسر أنفك وأعيدك إلى حياة

الفاقة والإملاق فهى أوفق لك وأجدر بك !

أم الغصن : يا أحمق إنما تكسر بذلك أنفك .

جحا : أنفى معى أنفك ! لا ضير على .. والله لقد سئمت نفسى هذه العيشة الزائفة . ماذا أفدت منها غير أن أبطرتك النعمة فزادت خلقك سوءا على سوء ؟

أم الغصن : والله ما بطر النعمة غيرك .. لا لوم عليك .. الجعران يموت من رائحة الورد ، كما يقولون ، ولا يطيب له العيش إلا فى ظلام جحره !

جحا : (**غاضبا**) قبحك الله .. فارقينا الآن وادخلى إلى جحرك !

(**تظهر صابحة على الباب**)

صابحة : مولاتى .. مولاتى .. الضيوف قد أقبلوا ..

أم الغصن : (**تنهض مرتبكة**) الضيوف ! يا ويلتا أين هم !

صابحة : فى الطريق .. جاءت وصيفتهم تعلمنا بقدومهم !

أم الغصن : (**تتنفس الصعداء**) ويلك روعتنى يا ملعونة .. حسبتهم قد دخلوا الدار (**تلتفت إلى جحا قبل أن تخرج**) .

جحا : ماذا تريدين ؟ تقعدين معنا وتتركين ضيوفك ؟

(**تنسحب صابحة وتخرج خلفها أم الغصن دون أن تتفوه بكلمة**)

جحا : الحمد لله رب العالمين ! (**يقوم إلى الباب فيوصده ثم يعود إلى مجلسه**) مرحبا بك يا حماد .. إياك أن تبالى بما قالت

خالتك أم الغصن . إنك تعرف لسانها السليط .

حماد : لا بأس يا عمى .. إنى أحتمل منها كل شىء .

جحا : بوركت يا بنى .. هات الآن ما عندك .

حماد : ألم تزل يا عمى ضائق الصدر بهذا المنصب ؟

جحا : ما سؤالك هذا يا حماد ؟ قد قلت لك إنى أكاد أختنق !

حماد : أفليس خيرا لك أن تستقيل من منصبك وتعيش فى سلام ؟

جحا : كلا كلا ماذا أكون صنعت إذن لأمتى وبلادى ؟

حماد : لكن هذه أخطر يا عمى من تلك التى قمنا بها من قبل .

جحا : أخطر حقا ، ولكن غايتها أخطر أيضا وأجل : سوف نقطع رأس الحية كما قطعنا ذنبها !

حماد : لكن .....

جحا : (**محتدا**) ويلك ... دعنى من تخذيلك .. إن كنت تخشى على نفسك من هذا الأمر ....

حماد : كلا كلا يا عمى .. أنا طوع أمرك فى كل ما تريد . والله لو دخلت غيل الأسود لدخلته معك !

جحا : (**ينظر إليه راضيا**) فخبرنى يا ابن أخى هل أعملت ذهنك فيما رسمت لك .؟

حماد : نعم .. سهرت ليلة بأكملها فى ذلك .

جحا : فبأى شىء فتح الله عليك ؟ هل وجدت القضية المطلوبة ؟

حماد : وجدتها يا عمى أو كدت .

جحا : هات .. أطلعنى على ما عندك !

حماد : تبيع دارك هذه ، وتشترط على مشتريها أن يبقى لك حق التمتع بشىء ما فيها .. شىء غير ذى خطر .. رف فيها مثلا أو حلقة فى سقف أو ....

جحا : مسمار فى جدار !

حماد : مرحى ! كأنك يا عمى قد اهتديت إلى ....

جحا : نفس الخطة !

حماد : سبحان الله !

جحا : لكنى أنا القاضى يا حماد ، فيجب أن أهب لك الدار أولا لتكون أنت البائع لها .

حماد : هذا أيضا قد خطر ببالى !

جحا : هيه ....

حماد : إى والله يا عمى ، ولكن خشيت إن أنا اقترحته أن تسىء الظن بقصدى .

جحا : (**يعانقه**) حاشاى يا حماد وحاشاك !

حماد : اتفقنا إذن .

جحا : نعم هات يدك (**يشد على يد حماد**) عاهدنى على ذمة الله يا حماد أن تمضى معى فى هذا السبيل حتى الشوط الأخير مهما يلحقنا من أذى واضطهاد .

حماد : (**باسما**) وتعقد لى بعدها على ميمونة ؟

جحا : نعم .

حماد : عاهدتك على ذمة الله .

جحا : (**ينهض**) دعني يا بنى أعود الآن إلى الديوان ... لا تنس أنك باق عندنا للغداء .

حماد : (**شارد الفكر قليلا**) نعم ... نعم .

جحا : اعمل ذهنك فى خطتنا واستجل جوانبها ريثما أرجع من الديوان (**يخرج مهرولا من الباب الأيمن**) .

حماد : (**وحده**) بل سأعمل ذهنى فى خطة أخرى (**يدنو من الباب الأيسر فيقف قليلا ثم يخرج متسللا ويعود بعد لحظة وخلفه زيتونة**) اسمعى يا زيتونة ...

زيتونة : نعم يا سيدى .

حماد : أوَ قد حضر الضيوف ؟

زيتونة : نعم منذ هنيهة .

حماد : وأين سيدتك ميمونة ؟ أهى فى الحجرة معهن ؟

زيتونة : لا يا سيدى .. مازالت فى غرفتها تتزين .

حماد : اصعدى إليها فقولى لها إنى أشتهى أن أراها .. لا تدعى سيدتك الكبيرة تعلم .

زيتونة : لكن يا سيدى ..

حماد : افعلى ما أمرتك .

زيتونة : سمعا يا سيدى .

(تخرج)

(يذرع حماد الحجرة جيئة وذهوبا حتى يسمع خطى ميمونة فيقف) .

ميمونة : (تدخل فى كمال زينتها ثانية بيدها ذيل حلتها الفاخرة) حماد !

حماد : (منبهرا) ميمونة ماذا أرى ؟

ميمونة : أما يعجبك ؟

حماد : لله ما أروعك يا حبيبتى .... ولكن ...

ميمونة : ولكن ماذا ؟

حماد : هذا ليس لى بل لغيرى .. اجتهدت اليوم فى الزينة لتروقى عين هذه الزائرة التى عندكم فتخطبك لابنها الواسع الثراء .....

ميمونة : لا والله يا حماد ما كنت لأفعل هذا لو لم تكرهنى أمى عليه ... ثق يا ابن عمى أنى لن أكون لغيرك .

حماد : لا بد يا ميمونة أن تصنعى شيئا تصرفين به هذه الزائرة عنك .

ميمونة : كيف يا حماد ؟ ماذا أصنع ؟

(يراع الحبيبان إذ يسمعان وقع أقدام ثم تظهر أم غصن) .

أم الغصن : (فى غضب) ما شاء الله .. نحن ننتظرك هناك وأنت هنا

يا فاجرة !

حماد : (فى حدة) لا لوم عليها ... أنا الذى دعوتها لأراها لحظة .

أم الغصن : جاءك العمى ! ماذا تريد منها ؟ لن تراها بعد اليوم ولن تراك .. أسمعت ؟

حماد : بل سأراها وترانى ولن يقدر أحد أن يفصل بيننا .

أم الغصن : يا هذا أرح نفسك . لن نزوجها لك ولو جئتنا بالقمر فى طبق !

حماد : بل سأتزوجها ولن أجيئك بالقمر فى طبق !

أم الغصن : (تستشيط غضبا) ويلك ! أوَ قد جرؤت أن تخاطبنى هكذا يا وقح ؟ اخرج من دارنا ... اخرج !

حماد : كلا لا أخرج من دارى !

أم الغصن : من دارك ؟ أوَ قد أصبحت هذه دارك أنت ؟

حماد : نعم ستعلمين غدا أنها دارى لا دارك ، وسأخرجك منها وأعيدك إلى حيث كنت !

أم الغصن : اخرس يا صعلوك ابن صعلوك .....

(يدخل الغصن من الباب الأيمن فجأة وقد ربط قلنسوته الحمراء من وسطها فبدت على رأسه كأنها عرف الديك فأخذ يدور فى الحجرة وهو يصيح محاكيا صوت الديك)

الغصن : كو كو كو كو كو !! كو كو كو كو كو

أم الغصن : **(تضحك قليلا كما يضحك حماد وميمونة ثم تظهر العبوس**

والصرامة وتنتهره) ما هذا يا ولد ؟

الغصن : (ماضيا فى حركته تلك وصياحه) كو كو كو كو

أم الغصن : ويلك أجننت يا ولد ؟

الغصن : كو كو كو كو كو ! لست الآن ولدا يا أماه ... أنا الآن ديك ؟

أم الغصن : ديك !

الغصن : نعم ... انقلبت ديكا فى الحمام .

أم الغصن : فى الحمام ؟

الغصن : نعم كنت فى الحمام فانقلبت ديكا هناك .. كو كو كو كو

أم الغصن : وما الذى ذهب بك إلى الحمام ؟ ألم تقل لى إنك ستلعب مع رفقائك ؟

الغصن : أخذونى معهم إلى الحمام فانقلبوا هناك دجاجا وانقلبت أنا ديكا ... كو كو كو كو

أم الغصن : لا حول ولا قوة إلا بالله ... قد جن الولد .

الغصن : قولى الديك ... أنا الآن ديك ! كو كو كو كو

حماد : (يغالب ضحكه) كيف كان ذلك يا ديك ؟

الغصن : اسمى عرجون .

حماد : كيف كان ذلك يا عرجون ؟

الغصن : دخلنا الحمام ونحن من بنى آدم ، فلما انتهينا ولبسنا ثيابنا إذ بصرت برفاقى قاعدين على الأرض يزحرون ، ثم قاموا وقد

باض كل واحد منهم بيضة وجاء بها فى يده وقالوا : بض مثلنا يا غصن ، فأخذت أزحر لعلى أبيض مثلهم فلم يخرج منى شىء . فقالوا : قد انقلبنا دجاجا كما ترى لا نستطيع أن ندفع أجرة الحمام ، وأنت وحدك لم تزل بنى آدم فادفع أنت الأجرة عن الجميع .

أم الغصن : قاتلهم الله فهل دفعت ؟

الغصن : هممت أن أدفع يا أماه ، ولكنى تذكرت وصيتك لى ألا أخرج الفلوس من جيبى أبدا ، فحرت لا أدرى ماذا أصنع ، وكدت أبكى لولا أنى التفت إلى مرآة هناك فعرفت أننى انقلبت ديكا وأنا لا أعلم ، فرفعت عرفى هذا (**مشيرا إلى قلنسوته**) وصحت بينهم : كو كو كو كو كو كو !

حماد : ثم ماذا ؟

الغصن : ثم ما لبث الحمامى أن أقبل ، فلما رآنا قد انقلبنا إلى دجاج وديك أخذ عصاه ليطردنا من حمامه فخرجنا هاربين !

(**يضحك الثلاثة**)

الغصن : (**يستأنف حركته وصياحه**) كو كو كو كو كو !

(**يتوجه نحو الباب الأيسر ليدخل**)

أم الغصن : (**تعترضه**) قف هنا .. إياك أن تدخل يا أحمق فتفضحنا عند الضيوف . قبحكم الله جميعا شغلتمونى عنهم بحماقاتكم : هيا يا ميمونة !

الغصن : (متوسلا) دعى عرجون يا أماه يتفرج على الضيوف !

أم الغصن : (صائحة) اخرس ! إياك أن تدخل .... والله لأذبحنك ذبحا إن فعلت !

الغصن : (فى أسى) مساكين الديوك ! مالهم من بنى آدم غير الذبح ! واها عليك يا عرجون !

حماد : اطمئنى يا خالتى ... سأتولى أنا أمره ....

(يجذب الغصن بعيدا عن الباب)

ادخلا أنتما إلى ضيوفكما .. أنا كفيل برد هذا الديك مرة أخرى إلى إنسان !

(تخرج أم الغصن وميمونة)

الغصن : كيف تردنى إنسانا مرة أخرى ؟

حماد : (فى رفق وتؤدة وبلهجة كلها جد) اسمع يا عرجون يا ابن عمى إن فى هذه الحمامات شياطين تسحر الناس أحيانا فتمسخهم حيوانات شتى .

الغصن : (يمتلئ خوفا) ويلى يا ويلى ، إذن فقد سحرتنا الشياطين .

حماد : نعم .. لكن لا تخف فإن هذا السحر قد بطل أثره عندما خرجتم من الحمام .

الغصن : لكنى يا حماد مازلت ديكا الآن .

حماد : كلا ما أنت الآن بديك ولا إنسان !

الغصن : فأى شيء أنا إذن ؟!

حماد : أنت بين بين .

الغصن : بين بين ! كلا لا أريد أن أكون بين بين ! (**فى توسل وضراعة**) خلصنى يا حماد !

حماد : فماذا تريد أن تكون ؟

الغصن : ديكا مثل عرجون !

حماد : كلا ليس فى وسعى إلا أن أردك إنسانا كما كنت .

الغصن : (**فى شىء من خيبة الأمل**) إنسان ! لا بأس إذن أمرى إلى الله !

حماد : قل معى هذا الدعاء : رب أعوذ بك ....

الغصن : رب أعوذ بك ...

حماد : من همزات الشياطين .

الغصن : من همزات الشياطين ...

حماد : وأعوذ بك رب أن يحضرون .

الغصن : وأعوذ بك رب أن يحضرون .

حماد : (**يأخذ القلنسوة من رأس الغصن فيفك العقدة التى فى وسطها ثم يعيدها إلى رأسه**) الحمد لله ! هأنتذا يا غصن قد عدت إنسانا كما كنت .

الغصن : (**يفرح قليلا ثم يكتئب**) وعرجون أين ذهب ؟

حماد : الله يرحمه ، ذهب مرة أخرى إلى حظيرته فى الآخرة .

الغصن : (**يبدو فى وجهه الأسى الشديد**) مسكين عرجون ! الله

يرحمك يا عرجون .

حماد : هل يعزّ عليك عرجون إلى هذا الحد ؟

الغصن : كيف لا يا حماد وقد كان حبيبى الوحيد فى هذه الدنيا ؟

حماد : هل تحب يا غصن أن تدخل على قلبه السرور فيختال مرحا بين الديوك فى الآخرة ؟

الغصن : نعم نعم كيف أفعل ذلك ؟

حماد : من التى كانت تطعمه الحب وتسقيه الماء حين كان معكم فى هذه الحياة الدنيا ؟

الغصن : ميمونة أختى .

حماد : فأدخل على قلبها السرور ليبتهج عرجون ويفرح منك .

الغصن : كيف أدخل السرور على قلب ميمونة ؟ ماذا أفعل ؟

حماد : إن أمك تعرضها كل يوم على الخاطبات والزائرات لتجد لها من بين الأغنياء من يشتريها فيتزوجها ، ولكن لم يتقدم لها حتى الآن منهم أحد ، وفى وسعك أنت أن تساعد فى تنفيقتها وترغيب الناس فيها لو شئت .

الغصن : كيف يا حماد ؟ ماذا أصنع ؟

حماد : أتذكر يا غصن إذ كنا فى الكوفة يوم خرجنا مع أبيك إلى السوق ومعه بقرته ليبيعها هناك فلم يتقدم لشرائها أحد ، حتى نادى عليها الدلال يعدد محاسنها للناس فما لبثوا أن تهافتوا عليها فباعها أبوك بثمن مضاعف ؟

الغصن : نعم نعم . تلك البقرة الصفراء التى كان أبى اشتراها من الرجل القروى السمين ؟

حماد : القروى السمين مضبوط ! هل تذكر كيف نادى الدلال عليها وهو يقول : هذه بقرتنا بقرة أصيلة النسب ، صغيرة السن ، وحامل فى شهرها السادس ؟

الغصن : نعم أذكر ذلك .

حماد : فادخل الآن إلى الضيوف الذين جاءوا ليشتروا ميمونة فرغبهم فيها بمثل هذا القول .

الغصن : (**تنبسط أساريره كمن أعجبته الفكرة**) إى والله يا حماد لأقولن لهم ذلك . (**ينطلق نحو الباب الأيسر ليدخل**)

حماد : (**يستوقفه**) مهلا يا غصن . ماذا تريد أن تقول لهم ؟

الغصن : سأقول لهم هذه بقرتنا بقرة .....

حماد : (**مقاطعا**) كلا يا غصن .. هذه ليست بقرة .. هذه فتاة ..

الغصن : فكيف أقول ؟

حماد : قل هذه فتاتنا فتاة (**يشير بيده أن أتمم الجملة إلى آخرها**) .

الغصن : هذه فتاتنا فتاة أصيلة النسب ، صغيرة السن ، وحامل فى شهرها السادس .

حماد : أحسنت يا غصن انطلق الآن (**يخرج الغصن**) .

حماد : (**يفرك يديه**) هذا الديك سينقر عين أمه اللعينة نقرًا : إن لله جنودا من الديكة ! (**يترقب ويتسمع بجانب الباب**) .

(**تسمع جلبة من الداخل وضوضاء**)

حماد : (**منتشيا**) ها قد وقعت الواقعة !.

الغصن : (**يسمع صياحه مقبلا**) أغثنى يا حماد ! أدركنى يا حماد !

أم الغصن : (**صوتها وراءه**) لن ينقذك اليوم منى أحد ! والله لأمزقن جلدك يا ملعون .

الغصن : (**يدخل منطلقا فيلوذ بحماد**) أغثنى يا حماد احمنى من أمى ! (**تدخل أم الغصن وبيدها خيزرانة غليظة فتهجم على ابنها لتضربه**) .

حماد : (**يحول بينهما**) ماذا جنى يا خالتى ؟ ماذا صنع ؟

أم الغصن : (**مستترا خلف حماد**) والله ما أردت إلا أن أرغبهم فى أختى !

أم الغصن : قبحك الله ! ترغبهم فيها بذلك الكلام القبيح !

(**تدخل ميمونة فى ارتباك وخجل**)

أم الغصن : (**تلتفت إليها**) ماذا جاء بك أنت ؟ هلا بقيت عندهم حتى أعود ؟

ميمونة : عند من ؟ لقد قاموا وانصرفوا .

أم الغصن : يا لليوم الأسود ! كل هذا من هذا الولد الملعون ! (تدور

هى لتضربه) .

أم الغصن : يا هذا خل بينى وبينه !

الغصن : احمنى يا حماد !

(تصيبه أمه بضربة فينطلق هاربا نحو البـاب الأيسر فتجرى أمه خلفه حتى يخرج الاثنان) .

حماد : (يدنو من ميمونة وهو يبتسم) ....؟

ميمونة : (تدنو إليه عاتبة) فعلتها يا حماد !

حماد : سامحينى يا حبيبتى .. فعلتها مضطرا لأنقذك .

ميمونة : يا ويلك من أمى ! الآن تعلم الحقيقة من الغصن فتشعل الدنيا عليك وعلىّ معك .

حماد : لا تخافى .. لن تستطيع أن تحول بيننا بعد اليوم !

(ستار)

المنظر الرابع

فى ديوان القضاء .. قاعة كبيرة . تقع المنصة فى صدر المسرح وعلى جانبيها ممران يؤدى كل منهما إلى باب فى أدنى المسرح من يمين وشمال .

يرفع الستار عن قاضى القضاة جحا جالسا فى وسط المنصة بين قاضيين مساعدين عن يمينه وشماله ، وعلى يمين المنصة دكة منصوبة يساويها فى الارتفاع قد جلس على مقاعدها الحاكم الأجنبى وكاتبه عبد القوى . ويرى كاتب الديوان على مقعد أمام المنصة من جهة اليسار ودونها فى الارتفاع . وقد وقف إزاء كل من البابين جماعة من الشرطة يحولون برماحهم دون تدفق الناس الذين حضروا لشهود هذا المجلس إلى وسط القاعة .

(تسمع عند رفع الستار جلبة وضوضاء من الخارج)

الحاكم : ما هذه الجلبة ؟

عبد القوى : هذه جماهير الناس يا سيدى ما زالت تريد الدخول .

الحاكم : غلّقوا الأبواب وفرّقوا أولئك الناس !

(ينطلق أحد الشرطة لتنفيذ هذا الأمر)

الحاكم : يا معشر القضاة لقد طال النظر فى هذه القضية ، فينبغى أن تفصلوا فيها اليوم وألا تؤجلوها أطول مما فعلتم .

جحا : لا حيلة لنا يا سيدى الحاكم فى ذلك ، فإنا لم نؤجل الفصل فيها إلا رغبة فى تحرى العدل .

الحاكم : لكن تأجيلها هذا قد أمكن دعاة الشغب فى البلاد أن يتخذوا منها ذريعة لإيقاد نار الفتنة بين جماهير الشعب .

جحا : هذا لا يعفينا من واجبنا فى تحرى العدل ، ولا يجوز أن يدفعنا إلى التعجل بالفصل قبل أن تطمئن قلوبنا إلى سلامة الحكم . فالقضاء ينبغى أن يقول كلمته فى معزل عن شهوات الحاكمين ونزوات المحكومين .

الحاكم : أو من أجل مسمار معلق فى جدار نعرّض أمن البلاد للخطر ؟

جحا : القضاء يا سيدى لا يفرق بين مسمار من حديد وقنطار من ذهب .

الحاكم : قد كان فى وسعكم أن تصلحوا بين المتخاصمين فالصلح خير .

جحا : أجل إن الصلح خير ولكن لا سبيل إلى إكراه أحدهما عليه ، وقد دعوناهما مرارا إلى ذلك فما قبلا النصح .

الحاكم : ما أدرى كيف تعجز أنت ياقاضى القضاة عن حمل ابن أخيك حماد ليقلع عن التشبث بشىء لا نفع له فيه .

جحا : يا سيدى الحاكم إن حماد هنا ليس ابن أخ لى بل خصما لا يفترق عن أى خصم آخر . وإذا لم يكن للقاضى أن يتحيز لقريبه فليس له كذلك أن يتحامل عليه . غير أنى سأجتهد بعد فى إقناعه بالحسنى عسى أن يرضى . ائتونى بالخصمين !

كاتب الديوان : (ينادى) تقدم يا حماد ! تقدم يا غانم !

(**يتقدم حماد وغانم حتى يقفا أمام المنصة**)

جحا : يا هذان أما آن لكما أن تفيئا إلى الصلح فإن الصلح خير ؟ أنت يا حماد ألا تنزل عن مسمارك لخصمك فتكسب الأجر والثواب ؟

حماد : كلا لا أنزل عن حقى أبدا .

صوت : (**يرتفع من بين الحاضرين**) انزع يا حماد ! انزع مسمارك !

صوتان آخران : انزع يا حماد ! انزع مسمارك

(**يبدو الغضب فى وجه الحاكم فيشير لعبد القوى**)

عبد القوى : (**يصيح بأعلى صوته**) صه ! أخرجوا هؤلاء السفهاء

من هنا ! (يتقدم الشرطة فيخرجون الهاتفين الثلاثة بين همهمة السخط من سائر الحاضرين)

جحا : (بعد أن يعود السكون إلى المجلس) هأنتذا قد رأيت يا حماد كيف أن الخلق كلهم عليك ، فكن سمحا وانزل عن مسمارك لا خير لك فيه .

حماد : مالى وللناس ؟ والله لا أنزل عن حق أبدا إلا إذا أكرهتمونى على ذلك بالقوة !

جحا : (يلتفت إلى غانم) وأنت يا غانم كن سمحا واغنم أنت الفضل خيرًا لك . كم تدفع لحماد حتى ينزل لك عن مسماره ؟

غانم : لا أدفع له شيئا ، إنها دارى قد اشتريتها منه ودفعت له ثمنها فليس له عندى شىء .

جحا : لكنه اشترط عليك أن يبقى له حق التمتع بمسماره هذا وأنت رضيت بذلك .

غانم : زعم لى أن لهذا المسمار مكانة فى نفسه وأنه حريص على بقائه فى مكانه من جدار الحجرة ، فعددتها نزوة من نزواته ، وقبلت شرطه هذا وما كنت أحسب قط أنه سيتردد على دارى ليل نهار ليطمئن بزعمه على هذا المسمار !

(تسمع جلبة من الخارج ثم صوت امرأة تصيح)

الصوت : ابتعدوا من طريقى يا أوباش ! لا بد من دخولى إلى الديوان ! ويلكم أنا امرأة قاضى القضاة !

(يتعجب الجميع ويدور بينهم التهامس)

(تدخل أم الغصن متبرقعة وتتقدم نحو المنصة فتقع عينها على حماد)

أم الغصن : ها هو ذا المحتال الأثيم . ابتعد عنى يا خائن . **(يتزحزح حماد قليلا عن موقفه)**

جحا : **(متجلدا)** ما جاء بك هنا يا أم الغصن ؟

أم الغصن : لا كلام لى معك . إنما جئت لأشكوك لا لأشكو إليك ! يا عباد الله كيف تتحاكمون إلى رجل لا يعرف صلاح نفسه ، ولا يعرف كيف يقوم على أمره وأمر أهله وعياله ؟ هذه الدار التى كانت مثار هذا النزاع وهذه الضجة كانت مسكن أهله وعياله فما زال به ابن أخيه هذا المحتال الخداع حتى وهبها له وأخرج منها أهله وعياله ، فاحكموا على هذا الأحمق السفيه أولا وأنصفوا أهله وعياله منه قبل أن تنصبوه قاضيا يحكم بين الناس !

الحاكم : ما بالك لم تتقدمى بشكواك هذه من قبل !

أم الغصن : ما كنت لأقدر على رفع شكواى قبل اليوم ، لمن أرفعها وهذا الشيخ هو الخصم والحكم ! ولكنى علمت اليوم

أنك يا سيدى الحاكم ستحضر هذا المجلس فتحاملت على نفسى وأزلت حجابى وبرزت لعيون الناس رغبة فى إنصافك وعدلك !

جحا : أمّا إذ برزت للناس فاكشفى هذا البرقع عن وجهك فذلك أصون لحجابك وأصرف للعيون عنك !

(ضحك بين الحاضرين)

أم الغصن : اسكت يا قليل الحياء ! إنما أسوق حديثى إلى الحاكم .

الحاكم : ماذا ترى يا قاضى القضاة ؟

جحا : كان عليك يا سيدى أن تفهم هذه الجاهلة أن ليس لك ولا لغيرك من الأمر شىء فى هذا الديوان ، وأن من يبتغ إنصافك فليرفع شكواه إليك فى قصرك !

أم الغصن : بل خشيت يا هذا أن أشهد الناس على حماقتك وسوء تصرفك . والله لا أبرح مكانى هذا حتى أنصف منك على رءوس الأشهاد .

جحا : سأريك الساعة أننى لا أخشى أن تشهدى الناس على ما تزعمين (لحماد وغانم) ارجعا أنتما إلى مكانكما حتى يجىء دوركما .

(ينسحب حماد وغانم)

(ينهض جحا وينزل من مكانه فى المنصة حتى يقف بجانب امرأته . وفى خلال ذلك يوسوس الحاكم

لعبد القوى مليا ، ثم ينهض عبد القوى متسللا حتى يدنو من غانم فيومئ له فينهض غانم ويخرج خلف عبد القوى ، ولم يلتفت إليهما أحد لاهتمام الجميع بما سيكون بين جحا وامرأته) .

جحا : (للقاضيين) احكما بينى وبين هذه المرأة .

القاضى الأول : ما شكواك يا أم الغصن ؟ فى أى شىء ظلمك زوجك ؟

أم الغصن : ماذا أقول ! هذا الشيخ أخرجنى وعيالى من الدار التى كنا نسكنها ووهبها لابن أخيه المحتال !

القاضى الأول : الدار داره ، فله أن يهبها لمن شاء ، ولا حق لك فى الاعتراض عليه . ألم يسكنك وعيالك دارا أخرى بعدها ؟

أم الغصن : أسكننا دارا حقيرة لا تليق بمقامنا ، وخير لنا منها أن نسكن الشارع !

القاضى الأول : ألا يقيم هو معكم ؟

أم الغصن : يقيم معنا .

القاضى الأول : فكيف تزعمين أنها لا تليق بمقامك ؟

أم الغصن : إنه شيخ خسيس النفس ساقط الهمة ، لا يستنكف أن يأوى إلى أى جحر يضمه ولو كان جحر خنفساء .

القاضى الأول : ماذا تقول يا قاضى الـ ..... يا أبا الغصن ؟

جحا : أصلحك الله أيها القاضى ، إن الدار التى نسكنها اليوم

تصلح لمن هى خير من أم الغصن حسبا وأزكى منها نسبا . هذه كانت ابنة حمّار فى إحدى قرى الكوفة ولكن النعمة أبطرتها فصارت تزعم اليوم لزائراتها أن أباها كان وزير دربندخان !

أم الغصن : بل أنت الذى تزعم أن جدك صحابى يدعى جحوان .

(يعود عبد القوى إلى مكانه فيسر فى أذن الحاكم شيئا . يختلس جحا نظرة إليه دون أن يلحظه أحد ثم يدخل غانم فيعود كذلك إلى مقعده) .

أم الغصن : هيه ماذا أسكتك ؟ هل تنكر أنك ادعيت هذا النسب ؟

جحا : ويلك كيف أنكره وهو نسب ثابت ؟

أم الغصن : ثابت ثبوت حماقتك ! ويلك ألم تكن دارنا المملوكة التى أضعتها بحمقك خيرا من هذه الدار المستأجرة ؟ يا معشر القضاة أفى الحق أن ينزل عن كل ما ملك لابن أخيه الذى ليس بحاجة إليه ليترك أهله وعياله يشحذون الناس من بعده ؟

القاضى : ما تقول فى هذا يا أبا الغصن ؟

جحا : إنى ما وهبت الدار لابن أخى سفها كما تزعم هذه المرأة ، ولكنى نظرت فوجدتنى شيخا كبيرا وليس فى

أهلى رجل رشيد غير حماد ابن أخى ، فخشيت إذا أنا مت أن يضيع أهلى وعيالى ، فرأيت أن أجعل حمادا وصيا عليهم يرعى شئونهم بعدى . غير أن امرأتى تكره حمادا ولا تطيقه وما تنفك تعيره بأنه فلاح ابن فلاح وأنه ليس كفؤا لابنتى التى أردت أن أزوجها له ، وابنتى تريده ولا تريد غيره . فإذا كانت هذه المرأة تصنع كل هذا وأنا حى فماذا يكون حالها بعد وفاتى ؟ لذلك رأيت أن أجعل ابن أخى صاحب اليد العليا فى الإنفاق على أهلى وعيالى حتى لا تقدر هذه السليطة الحمقاء أن تغلبه على أمره ، فاتفقت معه على أن أهب له الدار ليبيعها فيستثمر قيمتها فى عمل رابح يستطيع به أن يكفل لهم بعدى العيش الكريم .

أم الغصن : ما شاء الله . وهل حماد هذا يوثق بأمانته ؟ لا ريب أنه سيأكل مالنا ويجحده ويتركنا نموت جوعا . انظروا يا معشر القضاة إلى فعله لما باع الدار . كيف احتال على مشتريها فاشترط ذلك الشرط الماكر ليضايقه حتى يبتز منه مقدارا آخر من المال . أفهذا فعل رجل أمين أم فعل محتال أثيم ؟

الحاكم : أجل أجب على ذلك يا شيخ ، فإن ابن أخيك بعمله هذا قد هيأ لدعاة الشغب أن يثيروا الفتنة فى جماهير الشعب .

جحا : تلك يا سيدى قضية أخرى لا كلام لى فيها إلا حينما أعود إلى المنصة بعد أن يفصل القضاء بينى وبين امرأتى .

الحاكم : (للقاضيين) فاقضيا بينهما لنعود إلى ما كنا بصدده .

(يتشاور القاضيان هنيهة) .

القاضى الثانى : انصرفى الآن يا أم الغصن فسنبعث الشهود لمعاينة منزلك واستقراء معيشتك ، فإن شهدوا بأنك حقا مظلومة حكمنا على الشيخ جحا بما يرضيك .

أم الغصن : ويلى منكم ! قد علمت أننى لن أجد منكم عدلا . **(ترفع بصرها إلى الحاكم)** أنصفنى يا سيدى الحاكم أنصفنى ! **(ترتفع همهمة سخط فى صفوف الحاضرين)**

الحاكم : قد سمعت ما قال القاضى فاسمعى وأطيعى .

جحا : **(لامرأته)** هيا انصرفى الآن يا بنت وزير دربندخان !

صوت : **(يرتفع من بين الصفوف)** إلى دربندخان ! إلى دربندخان !!

(تدوى القاعة بالضحك ويبدو الغضب فى وجه الحاكم)

أم الغصن : **(تلتفت إلى الحاضرين)** قاتلكم الله يا غوغاء !

أصوات : إلى دربندخان !!

أم الغصن : يا أوباش ! يارعاع ! لا عجب أن تكونوا هكذا وهذا الشيخ الأحمق قاضى قضاتكم !

الأصوات : إلى دربندخان !

(تخرج أم الغصن غاضبة تلعن وتسب) .

الأصوات : إلى دربندخان !

عبد القوى : **(يومئ له الحاكم فى غضب فيصيح بهم)** كفى يا قوم ! ويلكم احترموا المجلس !

(يعود جحا إلى مكانه فى المنصة ويسود السكون)

جحا : إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم .. صدق الله العظيم . معذرة يا قوم إن شغلتكم أم الغصن بترهاتها ساعة من زمان ... احمدوا ربكم وارحموا من بُلى بها طول عمره !

(ضحك فى صفوف الحاضرين)

جحا : علىّ الآن بالخصمين !

كاتب الديوان : تقدم يا حماد ! تقدم يا غانم !

(يتقدم حماد وغانم ويقفان أمام المنصة من جديد)

(تسمع أصوات الجماهير من بعد تردد هذا الهتاف) :

يـــاربَّ المسمـــارْ   انــزع مسمـــارك !
مـــن دار الأحـــرار   إذ لـــيست دارك !

(تبدو الحماسة فى وجوه الحاضرين ويتململ الحاكم فى مجلسه ولكنـه يظهـر التجلـد ويشير بيـده لعبد القوى)

عبد القوى : (يصرخ لأحد الشرطة فى غضب) مر الجنود بتفريق هؤلاء الرعاع وليضربوهم إذا أبوا !

(ينطلق الشرطى خارجا)

الحاكم : هذا كله من عملك يا قاضى القضاة !

جحا : ما تقول يا سيدى ؟ من عملى أنا ؟

الحاكم : نعم ...أنت سوفت الفصل فى هذه القضية ، وقضيت فيها وقتا طويلا .

جحا : يا سيدى أين هذا الوقت الطويل ؟ ما سلخنا فى نظر هذه القضية غير سبعين يوما ، وإن من القضايا ما انقضت عليها سبعون عاما و لم يفصل فيها بعد !

(يستمر تردد الهتاف فى الخارج إلا أنه يبتعد شيئا فشيئا حتى ينقطع) .

الحاكم : (يتجلد متجاهلا إشارة جحا) إن لم تفصل فيها اليوم فإنى سأحملك تبعة هذه الفتنة !

جحا : يا سيدى إن القاضى غير مسئول أمام أحد إلا أمام ربه !

الحاكم : (كاظما غيظه) صدقت يا قاضى القضاة فامض إذن فى عملك .

جحا : (لحماد وغانم) ألا تصطلحان أيها الخصمان العنيدان ؟ افعلا ذلك من أجل مصلحة البلاد ، فقد أوشكت قضيتكما هذه أن تفضى بها إلى فتنة تعم أدناها وأقصاها .

غانم : فى سبيل البلاد يا سيدى القاضى سأصالح خصمى على ما يريد . فليقل كم يطلب من المال ثمنا لمسماره ؟.

جحا : (لحماد) ها هو ذا خصمك يا حماد قد فتح لك باب الصلح فإياك أن توصده . اقترح كم تطلب .

حماد : كلا لا أشترى بحقى ثمنا قليلا !.

غانم : اطلب ما تشاء .

حماد : كل مال يباع به حق فهو قليل وإن كثر !

جحا : يا حماد لا تكن سببا للفتنة !

حماد : مرحبا بالفتنة إذا صينت بها الحقوق !

جحا : هذا تمسك منك غير مقبول ولا مستساغ .

حماد : من لم يتمسك بحقه فقد أضاعه !

غانم : إذن فإنى أنزل عن الدار كلها له . اشهدوا يا معشر الحاضرين . إنى قد نزلت لخصمى هذا عن الدار كلها فهى له حلال .

(يتهامس الحاضرون متعجبين)

جحا : يا هذا أتدرى ما أقدمت عليه ؟

غانم : نعم .

جحا : هل أكرهك أحد على ذلك أو هددك ؟

الحاكم : ما هذا يا قاضى القضاة ؟ لقد نزل الرجل عن حقه لخصمه فما تداخلك بينهما ، وما شأنك أنت ؟

جحا : يا سيدى على القاضى أن يتبصر فيما بين يديه . إن امرأ عاقلا يأتى مثل هذا العمل لا يمكن أن يكون حرا . وإن قضاء يقر مثل هذا دون التثبت من حقيقته لا يمكن أن يكون عدلا .

فدعنى يا سيدى أعلم أولا جلية أمره .. (لغانم) هل أكرهك أحد على فعلك هذا أو هددك ؟

غانم : كلا لقد فعلته بمحض حريتى واختيارى .

جحا : ما حملك الآن على هذا التسامح البالغ و لم تكن كذلك منذ قليل ؟

غانم : دفعنى إلى ذلك حبى للسلام .

جحا : حقا إن السلام لثمين ولكن أثمن منه العدل والحرية !

الحاكم : لقد أكد لك أنه فعله بمحض حريته واختياره فماذا تريد بعد ؟ عجبا لك ... ما زلت تدعوهما للصلح حتى إذا أمكنك أحدهما منه جعلت تعطله وتقف دونه !

جحا : أى صلح هذا ؟ أينزل رب الدار لرب المسمار ؟ أليس صاحب المسمار أحق أن ينزل لصاحب الدار عن مسماره أو ينزعه منها ويغرسه فى عقر داره ؟

الحاكم : فهلا أقنعت بذلك ابن أخيك هذا العنيد المتعنت ؟

جحا : الآن يا سيدى قلت الصواب ! (لحماد) اسمع يا حماد ، إن الحق أحق أن يتبع ، وقد ضرب لك هذا الرجل مثلا بالغا فى التسامح والحسنى . فمن اللؤم ألا تقابل إحسانه بإحسان . ماذا عليك لو نزعت مسمارك من داره حتى يستمتع فيها بما للمالك من حرية وكرامة ؟

حماد : كلا والله لا أنزل عن حقى أبدا .

جحا : لا ينبغى أن يظلم صاحب الدار من أجل صاحب المسمار . المسمار منقول والدار ثابتة . المسمار ينزع والدار باقية . صاحب الدار يملك الأرض التى تحتها إلى سابع أرضين ، وصاحب المسمار لا يملك منها ولا حفنة من طين !..

الحاكم : (يخونه ثباته ووقاره) كفى يا شيخ المفسدين فى الأرض !!

جحا : (معرضا عنه ومتوجها إلى الحاضرين) ماذا ترون

يا معشر الحاضرين ؟ أليس على حماد أن ينزع مسماره ؟

الحاضرين : (**بصوت واحد**) بلى ... انزع مسمارك يا حماد ؟ انزع مسمارك يا حماد !

حماد : (**صائحا بأعلى صوته**) ويلكم ، ترون المسمار الصغير ولا ترون المسمار الكبير ! هذا صاحبه فيكم ... مروه بنزعه أو فانزعوه بأيديكم !

الحاكم : (**صائح**) خذوه وخذوا هذا الشيخ اللعين !

(**يقفز حماد جهة الباب وينطلق هاربا والشرطة يعدون خلفه ويتسلل عبد القوى فيختفى فى خلال الجلبة**)

جحا : (**ثابتا فى مكانه يهتف فيردد الحاضرون هتافه**)

يارب المسمار انزع مسمارك !
من دار الأحرار إذ ليست دارك !

الحاكم : (**مرتاعا يتلفت يمنة ويسرة**) أين كاتبى ؟ أين عبد القوى .

بعض الشرطة : لا ندرى يا سيدى أين ذهب .

الحاكم : (**صائحا**) ويلكم ... لا يفوتنكم الخائن ؟ اطلبوه فى كل مكان وائتونى به حيا أو ميتا !

(**ينطلق ثلاثة من الشرطة**)

(تسمع الأصوات من الخارج تردد الهتاف أيضا كما يردده الذين داخل الديوان)

(جحا يحيط به الشرطة ويسوقونه وهو يردد الهتاف)

(ينسحب الحاكم محتميا بحرسه ليخرج من الباب الخلفى)

(ستار)

المنظر الخامس

سرادب فى باطن الأرض لا ينفذ إليه غير بصيص من ضوء النهار آت من قبل الدرج الصخرى النازل إليه من فوق والواقع فى الجانب الأيمن من المسرح .

يرى جحا عند رفع الستار جالسا على الأرض فوق فراش بال هو الفراش الذى ينام عليه وقد جلس إلى جانبه ابنه الغصن وهو يحتضنه ويضمه إلى صدره فى شوق وحنان والغصن يقبل خد أبيه مرة بعد مرة .

جحا : الحمد لله يا بنى إذ رأيتك ... ما أشد شوقى إليك !

الغصن : وأنا يا أبى كل ليلة أحلم بك . وقد رأيتك البارحة نازلا من السماء ، وعلى رأسك عمامة حمراء ، فلما وصلت إلى الأرض انطلقت فى شوق إليك لأحتضنك ، فإذا أنت قد انقلبت ديكا كبيرًا ، فانتفضت خوفا وأردتُ أن أهرب ، ولكنك ضممتنى بين جناحيك الكبيرين وقلت لى : لا تخف يا غصن فإنى ديكك عرجون قد هبطت من الجنة لأراك !

جحا : ثم ماذا ؟

الغصن : انتبهت على صوت أمى تقول لى قم يا غصن لتذهب إلى قصر الحاكم مع هذا الشرطى ، فقد سمحوا لك بزيارة أبيك .

جحا : قد تحققت رؤياك يا بنى فها أنذا أضمك بين ذراعى .. (يضمه بشده) .

الغصن : ماذا يصنعون بك يا أبى هنا ؟

جحا : لا شىء يا غصن ...

الغصن : أحقا أنهم يضربونك بالسياط ؟

جحا : كلا يا بنى ... من قال لك ذلك ؟

الغصن : أمى .

جحا : لا تصدقها ... هأنتذا قد رأيتنى بعينيك .

الغصن : وتنام هنا وحدك ؟

جحا : نعم .

الغصن : ألا تخشى من هذا الظلام ؟

جحا : لا يا بنى .. إنهم بالليل يوقدون لى قنديلا ... خبرنى يا غصن كيف أختك ميمونة ؟

الغصن : تبكى كل يوم ..

جحا : ماذا يبكيها ؟

الغصن : أمى تريد أن تزوجها لرجل فى قصر السلطان وهى لا تريد ، وكل يوم تختصمان وتتشاجران .

جحا : لرجل فى قصر السلطان ؟

الغصن : نعم .. رجل كريم جدا يا أبى ، يبعث إلينا كل يوم بالهدايا مع غلامه الأسود المخيف الذى اسمه يا قوت ؟

جحا : (**متعجبا**) وما اسم هذا الرجل ؟

الغصن : سمعتهم يقولون إن اسمه عبد القوى .

جحا : عبد القوى !

الغصن : نعم . أتعرفه يا أبى ؟

جحا : (**يطرق قليلا ثم ينطلق وجهه سرورا**) نعم يا بنى إنه رجل عظيم .

الغصن : الحق مع أمى .. ميمونة مجنونة إذ تكرهه وترفضه .

جحا : (**يطرق مرة أخرى ثم يرفع رأسه**) وحماد ابن عمك يا غصن ، ألم يأت إلى البيت قط ؟

الغصن : (**فى رثاء بالغ**) مسكين حماد ! ألم تعلم ما جرى له ؟

جحا : (**فى شيء من الذعر خشية أن يكونوا قبضوا عليه**) ماذا جرى له ؟

الغصن : انقلب امرأة !

جحا : كيف ؟

الغصن : دخل الحمام فمسخته الشياطين امرأة .

جحا : (**يتنفس الصعداء**) أين رأيته ؟ هل جاءكم فى البيت ؟

الغصن : نعم جاءنا يوما ساعة الظهر فجلس قليلا مع ميمونة ،

وكانت أمى نائمة فأيقظتها ، فلما رأته بتلك الحال خافت منه فاستدعت بعض الجنود ليطردوه من الدار ، فهرب حماد وبكت ميمونة شفقة عليه .

جحا : ولم يعد بعد ذلك ؟

الغصن : لا .. لم يعد بعد ذلك . مسكين حماد ! يا ليتك كنت معنا لتقرأ عليه بعض السور وتشفيه من سحره .

(تسمع حركة فى الدرج ثم يظهر أحد الجنود نازلا وفى يده مفتاح كبير حتى يدنو من جحا) .

جحا : ماذا وراءك يا عون ؟

عون : قد آن لابنك يا سيدى أن ينصرف .

جحا : ألا تتركه بعد قليلا معى ؟

عون : كلا يا سيدى لا أستطيع .. إن الحاكم ينوى أن ينزل إليك اليوم ، فإذا وجد ابنك لا يزال عندك حتى الساعة فسيغضب منى وليس ذلك فى مصلحتك .

جحا : صدقت يا عون . **(ينهض واقفا فينهض الغصن معه)** ارجع يا بنى الآن إلى البيت . غدا سأعود إليكم إن شاء الله **(يومئ لعون ليؤيد قوله)** .

عون : أجل يا غصن .. غدا سنطلق سراح أبيك فيعود إليكم .. هيا تعال اصعد معى .

جحا : **(يعانق ابنه مودعا)** امض يا بنى فى أمان الله . قل لأمك

إنهم لا يضربوننى بالسياط وإنى بخير !

(**يصعد الفصن وهو يتلفت إلى أبيه ومن خلفه عون حتى يختفيا**) .

جحا : (**متمتما**) عبد القوى يتزوج ميمونة .. هذا عجيب . إنه متزوج وله أولاد .

(**يبتسم**) لك الله يا حماد ، كيف تنكرت فى زى امرأة !

(**ثم يعلو وجهه السخط**) أرادت امرأة السوء أن تسلمه للشرطة ... قاتلها الله من خائنة !

(**يعود عون**) .

جحا : انصرف ابنى يا عون ؟

عون : نعم (**يلتقط القيد من جانب الفراش**) ينبغى أن تلبس قيدك يا سيدى قبل أن ينزل إليك الطاغية ومعه جلادان جديدان حضرا من الكوفة .

جحا : من الكوفة !.

عون : نعم كانا فى الشرطة هناك .

جحا : (**يصمت هنيهة بينما عون يلبسه القيد**) خبرنى يا عون كيف حال العاصمة اليوم !

عون : بحالها يا سيدى ، كالجمر يخفيه الرماد ، ويعلم الله وحده متى تهب الريح فإذا هى نار تتقد !

جحا : ومنطقة الثغر !

عون : لم أسمع عنها شيئا جديدا غير أن جنود العدو قد نهكها الحصار فجعلت تبيع أسلحتها للثوار لتحصل منهم على ما تأكله .

جحا : بارك الله فى المجاهدين الأبزار .

(يسمع قرع على الباب من فوق)

عون : لعل الحاكم جاء ليراك !

(يصعد الدرج مسرعا ، ثم ينزل شرطيان آخران يحملان كرسيا كبيرا فيضعانه على الأرض قريبا من الحائط ثم يقفان على جانبى الدرج) انزلا .. لا تغلقا الباب .. اتركاه مفتوحا ... لا خوف .. نحن هنا ثلاثة نحرسه !

(يدنو من جحا فيقول بصوت خافت) الجلادان الجديدان **(ثم يقف بجانب زميليه الواقفين)**

(يظهر حريق وعباد نازلين حتى يقبلا على جحا الجالس على الأرض) .

جحا : أعوذ بالله من كل شيطان رجيم !

عباد : **(متشفيا)** هأنتذا قد وقعت يا شيخ السوء !

جحا : **(يتطلع إليهما كأنه لا يعرفهما)** ...؟

حريق : ألا تعرفنا يالكع ؟

جحا : اسمى جحا يا ابن الفاعلة ، فمن تكونان ؟

حريق : قبحك الله .. ألست تعرفنا منذ كنت فى الكوفة عند واليها فيروز ؟

عباد : يوم حضرنا مجلس وعظك قدام الجامع فكان آخر وعظ لك ؟

حريق : يوم كشف الشيخ أبو صفوان جهلك ، وفضحك أبو سحتوت أمام الناس !

جحا : إى والله ... تذكرت خلقتيكما الآن .. لكن ماذا كان يدعوكما الناس إذ ذاك ، فقد نسيت ؟

عباد : سأذكرك ما نسيت يا شيخ السوء .. اسمى عباد .

جحا : عباد الطاغوت ؟ تذكرت الآن (**يلتفت إلى حريق**) وأنت ... ما اسم الذى يحمل ذقنك هذا الأجرد ؟

حريق : لعنة الله عليك ! اسمى حريق !

جحا : أجل صدقت أمك إذ سمتك !

حريق : (**يتحرق غيظا**) آه لولا أننا نهينا عن التعرض لك اليوم لنتفنا لحيتك شعرة شعرة !

جحا : ويلك يا أجرد ، إن كنت تشتهى لحية لنفسك فاختر لحية صاحبك هذا فإنها ما زالت سوداء كصحيفة أعماله .. انتفها وأنا ألصقها بذقنك !! (**ينفجر الشرطة الثلاثة ضاحكين بعد ما ظلوا طويلا يغالبون الضحك**) .

عباد : غدا نريك عذاب الويل يا رأس الفساد !

جحا : قديمة ! هذه نكتة قديمة جدا قد سمعناها جميعا من والى الكوفة منذ خمس سنين . هات غيرها يا .... يا ذيل الحمار .

عباد : (**مغضبا يهم بالانقضاض عليه ثم يتراجع**) ...؟

جحا : معذرة فقد سهوت . أردت أن أقول البردعة فقلت الذيل .
ليس للحمار سوى ذيل واحد وأنتما اثنان .

الجلادان : أيها الشيخ اللعين ؛ (**يهمان بالانقضاض عليه ثم يتراجعان أيضا**) .

عباد : ما أجرأك وأوقحك ! أنت هنا فى قصر الحاكم ببغداد لا على مصطبة الجامع فى الكوفة !

جحا : ويل لى ! كيف غاب عن بالى أنكما قد ترقيتما اليوم فأصبحتما بردعتى حصان !

الجلادان : اخرس !

جحا : رويدكما . لا يغضبنكما سهوى فما أهون الفرق بين الحصان والحمار ، كلاهما ظهر يركب !

عباد : (**للجنود الثلاثة**) اشهدوا على ما يقول هذا اللعين فى حق مولانا الحاكم .

جحا : الحاكم ؟ أوَ قد فهمتما هذا الفهم البعيد ؟!

عباد : إن لم تكن قصدت هذا ، فمن يكون الحصان ومن يكون

الحمار ؟

جحا : تسألني ؟ أنتما أعلم بظهريكما مني !

حريق : لا تحاول أن تنكر ما عنيت . والى الكوفة هو الحمار ومولانا الحاكم هو الحصان .

عباد : نعم . هذا واضح كالشمس !

جحا : ويلكما ما أجرأكما ! أمام هؤلاء الجنود تقولان هذا ! اشهدوا عليهما عند الحاكم !

عون : (**بصوت خافض**) صه ! هذا سيدى الحاكم .

جحا : دعوه يسمع !

(**يبتعد الجلادان عن جحا إلى حيث يقف الجنود الثلاثة ويسود الصمت**) .

الحاكم : (**ينزل الدرج فى تؤدة حتى يقبل على جحا ببشاشة ولطف**) صباح الخير يا قاضى القضاة !

جحا : (**يشير إلى القيد فى يديه**) أنا يا سيدى اليوم شيخ المفسدين فى الأرض !

الحاكم : أطلقوا عنه القيد .

(**يتقدم عون فيفك عن جحا القيد**)

الحاكم : إنى جئت لزيارتك يا قاضى القضاة وما جئت لتعنيفك .

جحا : (**ينهض**) مرحبا بك يا سيدى .. لقد زدت هذا السرداب نورا على نور !

الحاكم : (**يجلس على الكرسى الذى أعد له**) أرجو ألا تبقى فيه اليوم إذا رجعت إلى صوابك وحكمتك . اجلس !

جحا : (**يجلس**) قاتل الله حكمتى وصوابى .. هما اللذان أسكنانى هذا السرداب !

الحاكم : (**يعرض عن كلمة جحا الأخيرة ويلتفت إلى عباد وحريق الواقفين**) هل تعرف هذين ؟

جحا : لا أعرف هذين يا سيدى بل أعرف هاتين ! (**مشيرا إليهما**) .

الحاكم : ماذا تعنى ؟

جحا : العرب تقول البردعة مؤنثة ولا تقول البردع ؟

عباد : (**متشجعا**) لو سمعت يا سيدى ما قال هذا الشيخ آنفا ...

جحا : (**مبادرا**) ... لعجبت يا سيدى من جرأتيهما فى أول الأمر ومن ارتعادهما فرقا لما خوفتهما منك !

عباد : كلا يا سيدى بل هو الذى قال ....

جحا : أجل يا سيدى أنا دعوتهما بردعتين فأحبا أن يعليا من قدرهما فنسبا أنفسهما إليك !!

عباد : كلا يا سيدى لقد كذب علينا وافترى .. هو الذى ....

جحا : هؤلاء الثلاثة يشهدون فسلهم ؟

الحاكم : (**ينظر إلى الجلادين مغضبا**) ما تعرضكما له ؟ إنكما

لا تقدران عليه .

جحا : إذا شئت يا سيدى أن ترضينى فاعف عنهما ، فإن لهما عندى حرمة المعرفة القديمة منذ كنت أركب الحمير فى الكوفة !

الحاكم : كم يعز على ذكاؤك هذا يا جحا أن تصرفه فيما يضرك لا فيما ينفعك ؟

جحا : يا سيدى لا تضيع نصحك سدى .. لقد بلوت تصاريف الأيام سبعين عاما فوجدت أنى ما أحببت شيئا إلا ضرنى وما كرهت شيئا إلا نفعنى ... حكمة لله بالغة !

الحاكم : (فى اهتمام) كيف ذلك ؟ أفصح ؟

جحا : أحببت الوعظ فجاءنى منه العزل . وكرهت العزل فأتانى منه الفرج إذ عرفت بعده حقيقة نفسى . وأحببت الفلاحة فجاءنى الجراد .. وكرهت الجراد فكان سببا لتوليتى قاضى القضاة .. وأحببت هذا المنصب فأفسد على امرأتى حتى جعلها لا تطاق ! هل أزيدك ؟

الحاكم : (فى انتباه وإصغاء) نعم .

جحا : وكرهت حال امرأتى هذه فدفعنى ذلك إلى خير مسعى قمت به فى حياتى : مسعاى لنزع المسمار من الدار ! ثم كرهت حبسى هذا فإذا الشعب كله يلهج بذكرى ويهتم بأمرى ويسعى جاهدا لخلاصى من السجن الصغير

وخلاصه هو من السجن الكبير .

الحاكم : (**يطرق قليلا ثم يقول فى تهديد مستتر**) والموت يا قاضى القضاة ألا تكرهه ؟

جحا : بلى يا سيدى أكرهه كرهًا شديدًا وهذا ما يجعلنى أرجو أن يقترن أجلى بأجل احتلالكم ، فقد ولدت أنا وهو فى بطن عام واحد !

الحاكم : (**يعرب عن تهديده**) تذكر يا جحا أن حياتك تحت رحمتنا !

جحا : وتذكر يا سيدى أن حياة احتلالكم تحت رحمة الشعب !

الحاكم : ويلك يا جحا . جئت لأدعوك لما فيه خيرك ، فأبيت إلا أن تداورنى بألاعيب ذهنك كأنما جئت لأستمع إلى نوادرك وملحك .

عباد : هكذا هو يا سيدى دائمًا منذ كان ، يظهر الدعابة وينفث فى خلالها سموم غمزة ولمزه !

جحا : (**للحاكم معرضا عما قاله حماد**) إن كنت يا سيدى تريد الجد حقا فأبعد من مجلسنا دواعى الفكاهة وبواعث التسلية والإضحاك .

الحاكم : ماذا تعنى ؟

جحا : أعنى هاتين البردعتين المضحكتين !

الحاكم : (**لعباد وحريق**) انتظرا أنتما على الباب فوق !

(يخرجان خجلين عابسين)

جحا : (يتصنع الجد) إلى أى شيء تدعونى ؟ ماذا تريد أن أصنع ؟

الحاكم : هذه الثورة تخمدها كما أشعلتها !

جحا : الله هو الذى أشعلها فهو وحده القادر على إخمادها إن شاء .

الحاكم : دعنى من هذا ، فى وسعك أن تدعو الشعب إلى السكينة ، وتبين له أن مصلحة البلاد تقتضى بقاء جنودنا فيها اليوم لحمايتها من هؤلاء الفوضويين الذين يشتد خطرهم يومًا بعد يوم ، فمتى زال هذا الخطر سحبنا جنودنا من بلادكم فلا يبقى فيها جندى واحد .

جحا : (ضاحكا) أوَ تظنهم يصدقون قولى لو فعلت ؟

الحاكم : لا شك أنهم سيستجيبون لدعوتك .

جحا : هيهات يا سيدى ... إن الشعب قد وزن القطّ وعرف الذى أكل اللحم !

الحاكم : ما معنى هذا ؟

جحا : هذا مثل جديد ألفناه أنا وامرأتى أم الغصن ، فقد دأبت زمنا على اختطاف لحم البيت لتأكله هى وحدهـا أو تطعمه اللائى يزرنها من الخاطبات ، فكانت إذا ما سألناها عن اللحم تتهم القط باختطافه ، حتى ضاق صدرى ونفد

صبرى فاشتريت ميزانا وخبأته عندى فى الدار . فلما فقدنا اللحم ذات يوم وكان ثلاثة أرطال واتهمت به القط كعادتها ، أخرجت الميزان فوزنت القط فطلع وزنه ثلاثة أرطال ، فقلت لها انظرى أيتها الملعونة : إن كان هذا وزن القط فأين اللحم ؟ وإن كان هذا وزن اللحم فأين القط ؟ فخجلت ولم تجرؤ على خطف اللحم مرة أخرى بعد ذلك !

الحاكم : (**يضحك قليلا ثم ينقطع ويبدو فى وجهه الاستياء**) لكن ماذا تقصد من ضرب هذا المثل ؟

جحا : إن هذه العجوز التى لا تعرف الخجل أبدا ، قد خجلت ذلك اليوم لما انكشف خداعها ؛ فأعيذكم بالله أن تكونوا أصفق وجها من أم الغصن !

الحاكم : (**يتجلد كاظما غيظه**) لو تدبرت قليلا يا شيخ لعرفت أن هذا المثل لا يصلح لما نحن فيه . فليس لحم البيت هو الذى يخشى أن يختطف ، بل البيت كله بمن فيه . وليس القط هو الذى يخشى منه ، بل حوت هائل يريد أن يبتلع العالم كله !

جحا : ماذا يضير السمكة إذا ابتلعها حوت ، أن يبتلع ذلك الحوت حوت أكبر ؟ سيكون مصيرنا يومئذ مصير العالم أجمع .

الحاكم : لكن يجب علينا أن نحول دون ذلك المصير .

جحا : افعلو .... من ذا منعكم ؟

الحاكم : يجب أن نتعاون .

جحا : التعاون يا سيدى لا يكون بالإكراه ، وإنما بالرضا والقبول .

الحاكم : ويلكم أما تخافون أن يطغى مذهب هؤلاء فيعصف بكل ما لكم فى الماضى من تراث ، وفى الحاضر من كرامة ، وفى المستقبل من أمل ؟

جحا : كلا لا خوف علينا من ذلك ما اتبعنا ديننا ، الذى شرع لنا فى الحياة سبيلا وسطا يجمع بين العدل والكرامة ، ويقرن المساواة فى الواجبات والحقوق إلى المباراة فى الأعمال والجهود .

الحاكم : كيف لم يحل دينكم هذا أن يظهر بينكم دعاة لهذا المذهب وأنصاره ؟

جحا : دعك من هؤلاء فإنما هو رحمة !

الحاكم : رحمة ؟

جحا : نعم ... هم عنوان الألم المبين ، والألم عنوان الداء الدفين ، والداء الدفين أنتم ! انقشعوا عنا ينقشع هؤلاء على الأثر !

الحاكم : كلا لن نخرج من باب ليدخل أعداؤنا من باب آخر !

جحا : سيكونون يومئذ أعداءنا ، فسترون كيف نقاتلهم بكل سلاح ، ونفدّى بلادنا بالمهج والأرواح !

الحاكم : أنى تستطيعون صد ذلك المغير ، وما عند جنودكم أسلحة كافية !

جحا : سبحان الله !.. تمنعوننا من اتخاذ أسباب القوة ثم تحتجون علينا بالضعف ! أليست بلادنا غنية تستطيع أن تبتاع ما تشاء من الأسلحة ؟ ألسنا راغبين فى تزويد جنودنا بما يجعلهم قادرين على الدفاع عنها أيا كان المغير ؟ فما الذى يحول بيننا وبين ذلك سواكم خشية أن تبطل حجتكم فى بقاء هذا الاحتلال !

الحاكم : سيقتضى تزويدكم بالأسلحة زمنا طويلا ، لا نأمن خلاله أن ينقضّ هذا العدو عليكم إذا أجلينا جنودنا فى الحال !

جحا : الأمر هين لو حسنت منكم النية . لتجلُ جنودكم ولتترك أسلحتها لجنودنا .

الحاكم : عجبا ... أننزل عن أسلحتنا لقوم لا يطيقوننا بغضا وموجدة ؟

جحا : لا نريدها منكم صدقة ... خذوا ثمنها من الدين الذى عليكم !

الحاكم : لولا أننا قوم نحرص على حقوق أصدقائنا كحرصنا على حقوقنا ، ما اعترفنا لكم بدين أنفقناه فى الدفاع عن بلادكم

يوم أقبل غزاة الهون يقرعون أبوابها فقاتلناهم دونها وأنتم نائمون .!

جحا : ما كانت تلك الحرب بيننا وبينهم ، وما جاءوا لقتالنا بل لقتالكم فى كل مكان به تقبعون ، وبين أهله تحتمون !

الحاكم : بل تغمطون الحق وتنكرون الجميل !

جحا : والله ما أنكر الجميل سواكم . لقد كان فى إمكاننا يوم اصفرت منكم الوجوه وجحظت منكم العيون ولاحقتكم الهزائم ، وأن نثب بكم أو نمنع الميرة عنكم أو نقطع السبل . إذن لما صبرتم ساعة من نهار . ولكنا أبينا ذلك وأعناكم على النصر رجاء أن تحفظوا لنا هذا الجميل فتريحونا بعده من ظلكم الثقيل ؟

الحاكم : من فطر على إنكار الجميل لا يعدم المعاذير ليجحد بها إحسان من أحسن إليه ، بل ليدعى أنه هو المحسن المتفضل !

جحا : (**متضاحكا**) حقا إن فى الدنيا شوّائين كثيرين !

الحاكم : ماذا تعنى ؟

جحا : ذكرتنى الآن بذلك الشوّاء الذى جاءنى يوما فى الديوان يقاضى رجلا زعم أنه أكل عنده فى دكانه ثم أبى أن يدفع قيمة ما أكل . فلما استجليت خبرهما تبين لى أن الرجل لم يأكل من عنده شيئا . وإنما وقف قريبا من دكانه وأخذ

يأكل كسرة خبز فى يده على رائحة الشواء التى تتصاعد من الدكان .. أفتدرى كيف قضيت بينهما ؟

الحاكم : هيه .

جحا : أخذت درهيمن من الرجل فقلت للشواء : اقترب منى لتأخذ حقك . فلما فعل رننت الدرهمين على ظهر المنصة وسألته : هل سمع رنينهما ؟ قال:نعم . فرددتهما إلى صاحبهما وقلت للشواء : انصرف فقد أخذت بحقك . فصاح متظلما : كيف هذا ؟ قلت : هذا العدل . إن الذى يبيع رائحة الشواء لا يقبض غير رنين الدراهم !

الحاكم : (فى قلة مبالاة) هذا مثل طريف ، ولكنه ضرب فى غير موضعه .

جحا : قد علمت يا سيدى أننى لا أضرب الأمثال فى غير موضعها . إنه لأشد انطباقا على حالكم معنا منه على الشواء مع غريمه . فقد وقف ذلك الرجل على باب دكانه يأكل على رائحة شوائه ، ولا شك أنها كانت شهية يسيل لها اللعاب ، ثم لم يأخذ الشواء غير رنين الدرهمين . أما أنتم فقد جئتم بمواقدكم وسفافيدكم إلى ديارنا ، فأوقدتموها بالنفط والقمامة حتى عميت عيوننا وزكمت أنوفنا وتغثت نفوسنا من دخانها الكريه ، ثم تقاضيتمونا على هذا المكروه ألوفا من الدنانير مؤلفة ، ثم لم تكتفوا بذلك

حتى ادعيتم لمواقدكم وسفافيدكم حق البقاء فى ديارنا إلى يوم القيامة !

الحاكم : (**ينهض ضجرا**) إذن فلا فائدة من الحديث معك !

جحا : كان عليك أن تعرف هذا من قبل .

الحاكم : لأسلطن عليك هذين الجلادين فإنهما يتحرقان حقدا عليك . (**يشير لأحد الجنود**) على بهما !

(**ينطلق الجندى**)

جحا : افعل ما تشاء فإنى صابر محتسب لوجه الله والوطن !

الحاكم : لقد أردت بك خيرا ولكن لا حيلة لى فيمن يسعى إلى حتفه بظلفه .

(**يقبل الجلادان : عباد وحريق**)

جحا : الحمد لله إذ لم يجعل لى ظلفا و لم يحوجنى إلى (**يشير إلى الجلادين**) برادع !!

الحاكم : (**للجلادين**) قد جعلت إليكما أمر هذا الشيخ فعذباه كما تشتهيان . (**يبدو فى وجهيهما السرور والتوحش**)

عباد : اليوم نبلغ منك ما نريد !

حريق : طالما اشتهينا هذا من خمس سنين !

جحا : افرحا أيتها البردعتان .... قد أمكنكما ربكما هذا مما منعكما حمار الكوفة !

حريق : اسكت يا وقح ! (**يتحرق متلمظا ويتحسس ذقنه بيده**)

جحا : **(يبدى الرعب فيستوقف الحاكم الذى كان يريد الخروج)** مهلا يا سيدى الحاكم ... على رسلك !

الحاكم : **(يرتد راجعا ويقبل عليه مسرورًا)** نعم ماذا عندك ؟ هل عدت إلى صوابك ؟

جحا : نعم يا سيدى ، ألتمس منك معروفًا لا يعزُّ عليك !

الحاكم : احتكمْ يا قاضى القضاة ... اقترحْ ما تشاء أنفذ طلبك !

جحا : أقسم لى على ذلك .

الحاكم : أقسمتُ بشرفى ...

جحا : **(مقاطعا)** كلا يا سيدى .. أقسم بالله الموجود !

الحاكم : **(يخفى امتعاضه)** أقسمت بالله لأجيبنك إلى كل ما تريد .

جحا : مر هذا الأجرد ألا يتعرض للحيتى بسوء ! إنه يشتهيها لنفسه ! **(يغالب الجنود الثلاثة ضحكهم ، وكذلك يفعل عباد فيرميه حريق بنظرة عاتبة)** .

الحاكم : ويلك يا شيخ السوء ! أتخشى من هذا ولا تخشى السياط أن تبلى جلدك ...؟

عباد : **(وقد كف عن الضحك وأظهر الغضب ليرضى صاحبه العاتب)** ولحمك وعظمك !!

جحا : لست أخشى يا سيدى إلا أن ألقى الله ربى كهذا الأجرد

بغير لحية ، وبلا شرف وكرامة !

(يدخل كاتب الحاكم — وهو أجنبي مثله — مسرعا فيسلم للحاكم رسالة مفضوضة) .

الكاتب : معذرة يا سيدى الحاكم فهذه رسالة مستعجلة .

الحاكم : (يتصفح الرسالة فيربد وجهه وتلحقه روعة ، ولكنه يتجلد ويجلس على الكرسى ليحفظ توازنه . وينظر فى الرسالة مرة أخرى ثم يطويها وينهض من مقعده ويقف قليلا موليا الحاضرين ظهره ، ثم يستدير نحوهم وقد جمع شعاع نفسه والتفت إلى الجنود)

اخرجوا أنتم الخمسة وانتظروا عند الباب .

عون : ألا نعيد القيد يا سيدى إلى يديه ؟

الحاكم : كلا ... دعوه .

(يخرج الجنود الخمسة) .

الحاكم : (يقبل على جحا متلطفا يتصنع البشاشة) .

جحا : (يبتسم) خيرا يا سيدى الحاكم ؟

الحاكم : (يزداد وجهه طلاقة) أجل يا قاضى القضاة .. كأن الأقدار شاءت فى آخر الأمر ألا تنقطع عرى الصداقة التى بيننا .

جحا : بينى وبينك ؟

الحاكم : نعم وبين بلدينا وشعبينا .

جحا : (**يقهقه ضاحكا**) عليَّ أن أعيش سبعين عاما أخرى لكى أفهم معنى هذه الصداقة !

الحاكم : (**يدنو منه فيربت على كتفه ملاطفا**) يؤسفنى يا قاضى القضاة أننى لا أستطيع أن أجاريك فى نكاتك ، ولكن صدقنى أننا نوشك أن نتفق على خير ، فقد اقتنع رجال الحكم فى بلادى أن علينا ألا نفرط فى صداقتكم بأى ثمن !

جحا : هل جلت جنودكم عن الثغر !

الحاكم : (**تلحقه روعة ثم يتجلد**) قد تقرر جلاؤها فى خلال ستة أشهر .

جحا : الله يرحمك يا عرقوب . ولقد تركت للعالم تراثا مجيدا بعدك !

الحاكم : من عرقوب هذا ؟

جحا : رجل خلدت العرب ذكراه ، وضربت بصنيعه الأمثال .

الحاكم : ماذا كان يصنع ؟

جحا : كان يكثر المواعيد وكان يحافظ دائما على .. إخلافها !

الحاكم : (**فى عتاب لطيف**) يا قاضى القضاة إن الوقت أضيق من أن نضيعه فى النكات .

جحا : وقتك يا سيدى ضيق لكثرة أعمالك ومهامك ... أما أنا فوقتى فى هذا السرداب أوسع من البحر الذى يفصل بين

بلدى وبلدك !

الحاكم : دع عنك هذا وأصغ إلى .. هذا ليس وعدا من الوعود ، هذا قرار اقتنعنا اليوم بحكمته وصوابه لمصلحتنا — افهم قولى جيدا — لا نزعم أننا اتخذناه لمصلحتكم ، بل لمصلحتنا نحن ... أفلا تريد أن تصدق ؟

جحا : بلى .. كيف لا أصدقك فى هذا ولو أنت أخبرتنى أن جنودكم قد جلوا اليوم لصدقتك ؟ إن النذر كلها تقتضى أن تجلوا عن بلادنا فى الحال لا بعد ستة شهور طوال .

الحاكم : (**يكتم امتعاضه**) لا ينبغى أن يخفى عليك أن جلاءنا فى الحال متعذر ، وستة أشهر لا تعد زمنا طويلا .

جحا : صدقت يا سيدى .. فهل لك أن تطلق سراحى اليوم لأعود إلى أهلى وعيالى وأنتظر موعد جلائكم مع المنتظرين .

الحاكم : سأطلق سراحك اليوم ، بعد أن تكتب إلى زعماء الثورة ليفكوا حصار منطقة الثغر ويطلقوا الأغذية إليها .

جحا : (**يظهر الفرح والدهش**) أوَقد قطع الشعب الأغذية عن جنودكم فى الثغر ! بشرك الله بالخير يا سيدى . دعنى أقبل رأسك جزاء هذه البشارة !

(**يدنو منه ليقبل رأسه والحاكم يتباعد عنه**)

ياليت لى عينا ترى سواد الشعب اليوم وقد استطاعوا أن يذوقوا طعم الفاكهة ، بعد ما حرموها

زمنا طويلا إذ كانت جنودكم تنهب معظمها وهم ينظرون ويتحسرون .

الحاكم : (ممتعضا) ويلك إننا ما كنا ننهبها .. لقد كنا نغلى لها الثمن .

جحا : ذلك هو البلاء ، تغرون به فئة من طلاب الكسب الحرام على حساب الجمهرة العظمى من الشعب .

الحاكم : يا شيخ جحا أنت أول من يعرف أننا لسنا المسئولين عن بؤس الجمهرة العظمى من شعب هذا البلد . وما أحسبك قد نسيت أننى أنا الذى أنصفت فلاحيكم يوم ثاروا على الملاك عقب كارثة الجراد .

جحا : أجل ، لقد خشيتم يومئذ من ثورتهم على ظلم الملاك ، أن تنقلب ثورة على من كان يحمى أولئك الظلمة !

الحاكم : (بعد صمت قصير) والآن .

جحا : اجلوا وقتما تشاءون فلسنا بمستعجلين !

الحاكم : عجبا لكم .. طالما تمنيتم الجلاء فها نحن أولاء نعرضه اليوم عليكم فترفضون .

جحا : أتعرضونه علينا عرضا بعد ما فرضناه عليكم فرضا ؟ إذا شاءت جنودكم أن تموت فى أرضنا جوعا فلتفعل ، فإنا لن نبخل عليها بالمقابر !

الحاكم : هيهات ! إنها لن تموت وفى أيديها السلاح .

جحا : إن السلاح يا سيدى لا يؤكل .

الحاكم : لا يؤكل ولكن يؤكل به !

جحا : صدقت يا سيدى .. إن الحياة عزيزة على النفس . لا شك أن جنودكم تبيع اليوم سلاحها لتحصل منا على ما تأكله ! ولا بأس بمقايضة فيها مصلحة الجانبين .

الحاكم : كلا إنما يلجأ إلى ذلك الذليل .

جحا : والمضطر كذلك ولو كان عزيزا . تلك يا سيدى سنة الحياة .

الحاكم : (**غاضبا**) أوه .. لا تضيع وقتى فى هذا اللغو . أجبنى أتكتب أم لا ؟

جحا : (**يمدها طويلا**) لا ..

الحاكم : إذن فسأحصل من بسلطانكم على ما نريد .

جحا : من فضل الله علينا قد جعل لنا ملكا حبّبنا إليه ولاؤنا وإخلاصنا لعرشه ، وحببه إلينا احترامه لكلمة شعبه .

الحاكم : إن لم يستجب طوعا فكرها .

جحا : هيهات .. دون ذلك وتزلزل الأرض بكم وتنطبق السماء عليكم . لا تنس جيشنا الصابر حتى اليوم على مضض .

الحاكم : جيشكم ! جيشكم تحت أمرى .

جحا : بل تحت أمر قائده الأعلى .

الحاكم : فى وسعنا أن نأتى بغيره .

جحا : (**يشتد غضبا**) كذبت ! إنما يملك ذلك من ولاه !

الحاكم : من ؟

جحا : الله عز وجل .. مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء .

الحاكم : (**صائحا**) على بالجلادين !

(**يصعد الكاتب فينزل الجنود ما عدا عونا**)

الحاكم : أين خامسكم ؟ أين عون ؟

الجنود : لا ندرى يا سيدى أين ذهب .

الحاكم : (**كأنما تساوره ريبة ولكنه يتجلد**) عذبوا هذا الشيخ اللعين .. عذبوه ما شئتم .. على ألا تقتلوه .

جحا : بل دعهم يا سيدى يذبحونى ليرسلوا لحمى إلى جنودكم الجائعة فى الثغر !

(**يخرج الحاكم وكاتبه**)

(**يأخذ عباد وحريق فى إيذاء جحا بالضرب**)

جحا : (**مظهرا أنه يكاد يغمى عليه**) أجهزوا على لأستريح من حياة الذل ! (**يفهم الجنديان الآخران قصده فيحولان بين الجلادين وبينه**) .

حريق : ويلكما أتحولان بيننا وبينه ؟

أحدهما : إنه شيخ كبير قد يموت من ضربة هينة فيكون ذلك وبالا علينا .

الثانى : أجل إن الحاكم قد أمرنا بالإبقاء على حياته ، فوالله لئن مات بين أيدينا ليأمرن بقتلنا جميعا .

الأول : أنتما جديدان لا تعرفان بطشه وسطوته .

عباد : أفنكف عن ضربه وتعذيبه ؟

الأول : كلا بل نضربه هكذا (**يضرب بسوطه الأرض بين قدمى جحا أو فى الجدار الذى فوقه فيصنع الثلاثة الآخرون مثله**) .

حريق : (**تعن له فكرة فيصيح**) قفوا قليلا .. قفوا يا قوم !

الثلاثة : (**يكفون عن الضرب**) ما خطبك يا حريق ؟

حريق : اهتديت إلى طريقة تؤلمه بها أشد الألم دون أن نخشى عليه الهلاك .

الثلاثة : كيف ؟

حريق : لحيته هذه ...

عباد : أجل ! (**يتقدم هو وحريق ليفعلا ذلك فيحول الآخران**) .

الأول : كلا لا تفعلا .

حريق : ويلك إنه لن يموت من ذلك .

جحا : (**للأول**) لا تنصحهما .. دعهما ينتفا لحيتى لأموت عليها حسرة فيكون جزاؤهما القتل .

الثانى : (**لحريق وعباد**) ويلكما ألم تسمعاه آنفا كيف لا يخشى

السياط ولكن يخشى أن يلقى الله بغير لحية ؟

(يدخل عون مسرعا ومعه ثلاثة أسياف فيعطى سيفين لصاحبيه الجنديين) :

عون : أبشر يا قاضى القضاة فقد جاء الفرج الأكبر !

جحا : أفصح يا عون !

عون : القتال الساعة دائر حول القصر .

جحا : أى قصر ؟

عون : قصر الطاغية الدخيل !

جحا : شعب العاصمة ثار ؟

عون : بل جيش العاصمة ومن ورائه الشعب !

جحا : (**هاتفا**) الله أكبر !

(يهم عباد وحريق بأن يهربا)

عون : (**يجرد سيفه**) مكانكما أيها الخائنان .. إن تحرك أحدكما ضربت عنقه ! ألقيا ما فى يديكما !

(يرمى عباد وحريق سوطيهما فيلتقطهما أحد الجنديين)

عون : (**لأحد صاحبيه**) قف أنت على الباب فلا تفتح إلا لأصدقاء الشعب (**يصعد أحدهما منطلقا**)

عون : (**يضرب عبادا وحريقا سوطين**) اجلسا فى الأرض هناك (**يجلسان فى أحد أركان السرداب ثم يضربهما**

سوطين آخرين) أقعيا كما تقعى الكلاب !
(**يطيعان أمره**)

جحا : إلى متى نبقى فى هذا المكان ! ألا يحسن بنا أن نخرج ؟

عون : لا تخف يا سيدى فنحن معك .

جحا : أخاف أن أموت قبل أن أرى سماء بلادى وهى حرة !

عون : أنت هنا فى أمان .. وسنبقى نحرسك حتى نؤديك إلى منقذيك أو نموت دونك .

(**تسمع حركة من ناحية الباب أعلى ثم يظهر حارس الباب فى منتصف الدرج**)

عون : ما هذا ؟

الحارس : الحاكم وبعض رجاله يناشدوننى أن أفتح لهم الباب .

عون : كلا لا تفتح للمجرمين .. آه لولا مكان الشيخ جحا بيننا لفتحنا لهم ولقاتلناهم ؟

الحارس : كلا إنهم ما جاءوا القتال .. إن الحاكم أراد أن يحتمى بالشيخ جحا قبل أن يعلن رجاله التسليم حتى لا يقتل فى الهيعة .

جحا : أدخلوه إذن فإن اللاجىء لا ينبغى أن يرد .

عون : مر من معه أن يتفرقوا عنه أولا ، ثم ائذن له ليدخل وحده (**يشير للجندى الآخر**) اصعد معه ! (**يصعد الثانى**) .

(**يظهر الحاكم نازلا فى الدرج وهو رابط الجأش كأن**

شيئا لم يكن ، فما يكاد يطأ أرض السرداب حتى وقف عباد وحريق) .

عباد : أنقذنا يا سيدى الحاكم فإن القوم قاتلونا لا محالة .

حريق : أجل يا سيدى أنقذنا فليس لنا غيرك .

عون : (**يضربهما سوطين**) مكانكما . لا حركة ولا كلمة !
(**يعودان إلى مكانهما فى الأرض**)

الحاكم : (**ينظر إليهما كأنه لا يعرفهما ثم يقبل على جحا**) أنا هنا فى أمانك يا قاضى القضاة .

جحا : سلطاننا — أيده الله — هو الذى يملك وحده أن يعطيك الأمان .... ولكنى سأشفع لك عنده .

الحاكم : حسبى هذا فإنه لن يرد شفاعتك .

جحا : هل لك أن تعيننى على قبول هذه الشفاعة ؟

الحاكم : اقترح يا قاضى القضاة .

جحا : أصدر أمرك إلى جنودكم بالثغر أن يجلوا عن بلادنا فى الحال .

الحاكم : هؤلاء قد استقلوا سفنهم منذ أمس ، فهى راسية بهم فى عرض البحر تنتظر أمرى بالرحيل .

جحا : (**ينظر إليه فى شك وارتياب**) ...؟

الحاكم : إن كنت فى شك من قولى فاقرأ هذه الرسالة التى جاءتنى آنفا وأنا عندك (**يناوله الرسالة**) .

جحا : (**يتصفح الرسالة مدهوشا**) وتساوم تلك المساومة بعد هذا كله ؟

الحاكم : نعم .. كان على أن أحاول جهدى إنقاذ ما يمكن إنقاذه لبلادى ، وقد علمتنا ميادين الكرة التى نلعبها فى بلادنا ألا ييأس اللاعب من الفوز أبدا ، فقد يدال له من خصمه فى الجولة الأخيرة .

جحا : لله ما أمتن أخلاقكم لو لم تستعملوها فى ظلم شعوب العالم .

الحاكم : الشعب الضعيف يا قاضى القضاة هو الذى يغرينا باستعماره ، فإن لم نستعمره نحن استعمره غيرنا فتقوى به علينا .

جحا : هذه حكمة بالغة !

الحاكم : قد عملتم بها فلستم فى حاجة إليها اليوم .

جحا : ما فقهناها إلا بعد سبعين عاما .

الحاكم : الحكمة التى أنضجها طول التجارب كالخمر التى عتقها تقادم السنين .

جحا : إن عجبى من حكمتك لا يقل عن عجبى من رباطة جأشك فى مثل هذا الموقف العصيب .

الحاكم : لا تعجب يا قاضى القضاة فكارثة أهون من كارثة .

جحا : ماذا تعنى ؟

الحاكم : أهون علينا أن تجلونا أنتم عن بلادكم من أن يجلينا عنها قوم آخرون !

جحا : أليس خيرا لكم من ذا ومن ذاك أن لو جلوتم عنها بالحسنى ؟

الحاكم : بلى ، كان يكون ذلك خيرا لنا لو عرفنا ما يضمر الغيب .... ولكنه على كل حال لن يكون خيرا لكم .

جحا : إى والله لقد صدقت !

(يسمع قرع على الباب وجلبة ثم يدخل عبد القوى) .

جحا : (**ينهض ليعانقه**) عبد القوى !

عبد القوى : (**يعانقه**) أبا الغصن ! الحمد لله على سلامتك !

جحا : الحمد لله على سلامة الوطن .

عبد القوى : سلطاننا المعظم يقرئك السلام .

جحا : أيده الله وأدام ملكه !

عبد القوى : ويوليك منصب الوزارة .

جحا : الوزارة ؟

عبد القوى : نعم .

جحا : أما هذه فسأستعفيه منها !

عبد القوى : فيم يا أبا الغصن ! إنك لها لأهل !

جحا : كلا يا عبد القوى ... لقد بطرت أم الغصن إذ صارت

زوجة قاضى القضاة ، فكيف لو صارت ...

عبد القوى : (**يضحك مقاطعا**) قل ذلك لمولانا السلطان حين تمثل بين يديه .

جحا : أجل سأقول ذلك وسأشفع لصاحبى هذا فقد أجرته !

عبد القوى : (**يلتفت إلى الحاكم**) هذا صاحبى قبل أن يكون صاحبك . هأنذا قد جئت من لدن سلطاننا بكتاب الأمان له ولرجاله حتى يرحلوا مكرمين إلى بلادهم .

الحاكم : شكرا لك يا عبد القوى (**يمد يده فيصافحه عبد القوى بحرارة**) .

عبد القوى : لتعلم أننى ما خنتك إذ كنت كاتبك ، ولكننى وفيت لوطنى ومليكى .

الحاكم : إنى لأقدرك يا سيدى وأعجب بك .

عبد القوى : (**يلتفت إلى الجنود**) أوصلوا السيد الحاكم إلى مأمنه ، وابقوا فى حراسته حتى يستغنى عنكم .

الحاكم : (**يومئ بالتحية ثم يخرج محاطا بالجنود**) .

عون : (**يسار عبد القوى كأنه يستشيره فى أمر عباد وحريق ، ثم يومئ لهما كأنه يأمرهما بالخروج فيخرجان وراءه وهما يتلفتان**) .

جحا : أحسنت يا عبد القوى فيما فعلت ، حقا ما أصعب أن يفرح المرء أمام من يحزنون لفرحه !

عبد القوى : فلنفرح الآن أمام من يفرحون لفرحنا .. هـذه جموع الشعب تنتظرك .: هيا بنا يا أبا الغصن !

جحا : (**يستوقفه**) مهلا عبد القوى .. خبرنى أولا قبـل أن أنسى . أحقا خطبت ابنتى ميمونة ؟

عبد القوى : نعم .

جحا : لكن ....

عبد القوى : سأشرح لك هذا فيما بعد .. هيا بنا الآن إلى جموع الشعب ! (**يتوجهان ناحية الدرج ليصعدا**)

(**ستار**)

المنظر السادس

فى منزل جحا ــ بعد القصر الكبير الذى باعه حماد ــ حجرة متوسطة أثاثها ليس بفاخر ولكنه صالح ــ شباكان فى صدر المسرح يطلان على الشارع . للحجرة بابان أحدهما فى أقصى اليمين ويؤدى إلى الخارج والثانى فى أدنى اليسار ويؤدى إلى داخل المنزل وتحجبه ستارة مرخاة .

الوقت أول العصر ــ

(ترى ميمونة ــ عند رفع الستار ــ جالسة ومن خلفها الماشطة تزينها ، وحولها أدوات الزينة من آنية وحقاق وأمشاط ومكاحل ونحو ذلك . تبدو ميمونة ضجرة عابسة) .

الماشطة : (تضفر شعرها) ارفعى رأسك قليلا يا بنتى حتى أتمكن من تضفير شعرك .

ميمونة : أوه ... لقد أوجعت عنقى !

الماشطة : يا عروستى لا ينبغى أن تعبسى هكذا فى يوم عرسك .

ميمونة : ياليته كان يوم جنازتى !

الماشطة : لا حق لك . أتكرهين أن تتزوجى رجلا عظيما من قصر السلطان ؟ أى فتاة لا تتمنى هـذا الشرف والفخر ؟ هيا ابتسمى ودعى عنك هـذا العبـوس والحزن !

(تدخل أم الغصن)

أم الغصن : من أول الظهر فى شعرها هذا يا أم الخير ؟ متى إذن تكحلينها ثم متى تلبسينها الحلل والحلى ؟

الماشطة : كان عليكم أن تدعونى من أول النهار كما يفعل الناس ، لا عند أذان الظهر !

أم الغصن : ما ذنبى يا أم الخير ؟ لم يخطرنا عبد القوى إلا اليوم بعد الزوال ، وقد أبى إلا أن نزف إليه عروسه الليلة .

الماشطة : كان عليك أن تصرى على تأجيل الزفاف إلى الغد .

أم الغصن : لو كان صاحبنا هذا من سواد الناس لاستطعنا أن نرفض طلبه ، ولكنه من رجال القصر .. غال يا أم الخير والطلب رخيص !

الماشطة : إذن فلا تستعجلينى . ليس لى غير يدين اثنتين !

أم الغصن : لست بمستعجلة ، ولكن هذه حجرة الرجال وأخشى أن يحضر العروس وصحبه ولم تفرغى من عملك .

الماشطة : ماذا أصنع ! ما عندكم حجرة أخرى يدخلها الضوء . أأمشطها فى حجرة مظلمة ؟

ميمونة : وهل تركت أنت لأحد أن يختار ؟ ألم تنتهزى فرصة غياب أبى فى الحبس لتفعلى فعلتك من ورائه فتبيعينى لمن يغلى الثمن ؟

أم الغصن : أليس ذلك خيرا من أن أتصدق بك على صعلوك محتال ليس عنده ....

ميمونة : (**تهب واقفة ثائرة**) اسكتى ! والله لئن نطقت بكلمة سوء فيه مرة أخرى لأقصن شعرى هذا كله ، ولأحدثن فى وجهى عاهة ينفر منها الناس !

الماشطة : (**تغمز أم الغصن ناصحة بالكف عن ملاحاتها ثم تتصنع الغضب منها**) اسمعى يا أم غصن ، أنا التى سأذهب وأترككم إن بقيت تشغلينا بهذرك ! أما والله إنك لعلة مضنية ! (**ثم لميمونة ملاطفة**) هلمى يا بنتى .. حقك على ، اقعدى بارك الله فيك !
(**تأخذ بيدها فتقعدها حيث كانت**) .

أم الغصن : (**كالنادمة على ما فرط منها**) ربنا يهديها !

الماشطة : ربنا يهديك أنت !

أم الغصن : (**تقوم**) إذا كنتما لا تريدان معاونتى فسأخرج .

الماشطة : خيرا ما تصنعين !

أم الغصن : لكن أسرعى قليلا يا أم الخير قبل أن يحضر العروس .. إنه سيحضر الساعة من القصر حين يفرغ أبوها من

مقابلة السلطان فيأتيان معا ليعقدا الزواج ...

الماشطة : نعم نعم سمعت هذا مرارا منك .

أم الغصن : انظرى إلى هذا الأب السفيه كابنته ! يخرج من السجن فلا يرجع أولا إلى بيته لينظف نفسه ويغير ثيابه ، بل يطلع توا إلى قصر مولانا السلطان فى خلقانه ووسخه !

الماشطة : (فى ضجر) ألا تبرحين الآن لأفرغ أنا لشغلى ؟

أم الغصن : خيرا لى .. سأذهب لأعد أكواب الشراب .. يا سوء بختنا ! بعد العز والبحبحة أصبحنا وليس عندنا حتى خادمة ! كل هذا من .... الحمد لله على كل حال ! (تخرج) .

الماشطة : (ملاطفة) ارضى بما قسمه الله لك يا بنتى ، فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . خذينى أنا مثلا أمامك : زوجنى أبى — رحمه الله — لغير من أحبه وأعشقه ، فبكيت وشكيت ، وعملت مالا يعمل ، ثم استسلمت ، ومرت الأيام فإذا زوجى من أكمل الرجال وأبر الأزواج ، وإذا قريبى الذى كنت أهواه مزواج مطلاق ، لا يستقر على واحدة ، ولا تنتهى قضاياه معهن فى المحاكم .

ميمونة : (تتنهد) بَس لو أنها صبرت حتى يخرج والدى من

الحبس !

الماشطة : الخير فيما اختار الله يا بنتى ، والزواج قسمة ونصيب . ابتسمى وابتهجى فالبلاد كلها اليوم مبتهجة ، والناس كلهم فى فرح .. حتى ابنى الصغير أبى أن يتم غداءه فخرج ليشهد الزينات والمواكب عند قصر السلطان .

ميمونة : (**تتنهد فى حرقة**) ترى أين أنت الآن يا حماد !

الماشطة : أوه .. إنه ابن عمك وهو باق لك على كل حال . وما أحسبه إلا يفرح لفرحك ويتمنى خيرك وسعادتك .

ميمونة : آه !

الماشطة : (**تكمل تضفير شعرها فتواجهها**) أرينى الآن ! يا حلاوة ! يا ملك !! (**تقرص خدها مداعبة**) حقا هذا جمال لا يصلح لغير قصور السلاطين !

ميمونة : (**عاتبة فى ابتسام**) أنت أيضا مع أمى على .

الماشطة : حاش لله يا بنتى ! أنا معك عليها وعلى أبيها وأبى أبيها !

(**تضحك ميمونة**)

الماشطة : (**تشرع فى تزجيج حاجبيها**) إنها أمك على كل حال وهى لا تريد لك إلا الخير .. سوف تعرفين ذلك يا ميمونة يوم تكون لك بنت فى سن الزواج .

(**تتنهد**) آه ... هكذا الدنيا دواليك : عروس تزف ، وأم تلد ، وبنت تبلغ سن الزواج !

(**تدخل أم الغصن وقد لبست زينتها**)

أم الغصن : هأنذى قد أعددت كل شيء !

الماشطة : (**تنظر إليها مبتسمة**) وأعددت نفسك أيضا يا أم العروس !

أم الغصن : ماذا أصنع يا أم الخير ؟ هل أنتظرك حتى تزينينى وأنت لم تفرغى حتى الآن من تزيين العروس ؟

الماشطة : لم يبق غير قليل .. انظرى كيف ترين هذه التسريحة ؟

أم الغصن : (**تدنو من بنتها**) الله ! حصنتك بالحى القيوم من عيون الحاسدين والحاسدات ! (**تمر يدها على شعرها هى**) يا حسرة ! كان لى مثل هذا الشعر إذ كنت صبية حلوة !!

الماشطة : (**فى سخرية خفية**) لا بد أنها ورثت هذا الشعر عنك !

أم الغصن : نعم ... ممن غيرى (**من أبيها الأصلع**) ! الحمد لله إذ لم يورث بلاءه هذا لأولاده !

الماشطة : ربما يطلع ابنك مثله إذا كبر !

أم الغصن : لا بأس بالابن أن يطلع كما يشاء .. حتى لو خرج من بطن أمه أقرع !! (**تضحك الماشطة وميمونة**) .

أم الغصن : انظرى إلى شعرى اليوم !

الماشطة : أكله الكبر يا أم الغصن .

أم الغصن : كبر ! أى كبر يا أختى . من الشيخ جحا يقرض فيه مثل الفأر ! (**تضحك الماشطة وميمونة**) .

الماشطة : (**تبل خرقة فى إناء ثم تمسح بها عينى ميمونة**) اسمعى يا ميمونة سأشرع فى تكحيل عينيك الساعة فلا نريد الدمع أن يفسده .

ميمونة : إنما دمعت عيناى من الضحك .

(**يدخل الغصن من الباب الأيمن مهرولا حاسر الرأس حافى القدمين وقد تشعث شعره وتمزقت ثيابه**) .

أم الغصن : أعوذ بالله ... ما هذا يا ولد !

الغصن : (**يتلفت وراءه كالخائف من مطارد له**) آه ... آه ! (**يترنح ليسقط**) .

أم الغصن : (**تأخذ بيده فتقعده**) ماذا جرى لك ؟

الغصن : آه .. ليتنى ما خرجت لرؤية والدى وبقيت هنا معكم فى أمان .

الماشطة : (**تنظر إليه**) اسقيه أولا شربة ماء .

(**تنهض أمه فتأتيه بقدح ماء فتسقيه**)

الماشطة : انظرى يا أم الغصن .. إنه ميت من العطش !

الغصن : (**يتهاوى مستلقيا على الأرض**) نعم أنا ميت حقا ... أنا ميت (**يبقى كذلك بلا حراك**) .

أم الغصن : قم ياولد يا معتوه ... قد سقيتك الماء فحييت .

الغصن : (**كأنه لم يسمع شيئا**) ميت ... ميت ... (**تأخذه روعة**) ميت ؟ كلا كلا لا أريد أن أموت !

(**يهب فزعا فيستوى جالسا يتلفت حوله ثم يرفع بصره إلى السماء مبتهلا**) يارب ! اليوم يوم عرس أختى ميمونة .. لا يصح ياربى أن أموت وفى الدار فرح ! وعرجون ! لا يصح أن أموت بعدما حيى عرجون ! (**ينطلق خارجا بكل قوته**) .

أم الغصن : عرجون ! لن ننتهى أبدا من عرجون .

العصن : (**يعود ومعه دمية ديك يجرها على الأرض بخيط فى يده**) اطمئن يا عرجون .. لن أموت .. ولن تموت أنت مرة أخرى !

أم الغصن : (**بلهجة رقيقة**) تعال ادن منى يا غصن .

الغصن : نعم يا أماه (**يقعد بجانبها**)

أم الغصن : احك لنا ماذا جرى لك ؟ أين حذاؤك أولا وقلنسوتك ؟

الغصن : ضاعا منى .

أم الغصن : كيف أضعتهما ؟ أما كنت لابسهما ؟

الغصن : كلا .. خلعتهما وحملتهما فى يدى على سبيل الاحتياط .

أم الغصن : على سبيل الاحتياط !

الغصن : نعم ... لما رأيت الزحام الشديد خشيت أن يضيعا فخلعتهما ....

أم الغصن : ما شاء الله ... هأنتذا قد أضعتهما يا غبى !

الغصن : لكنى أنا ما ضعت .. الحمد لله يا أمى فلو بقيت لابسهما لكنا ضعنا نحن الثلاثة !

أم الغصن : خيبك الله .. ياليتهما بقيا وضعت أنت فنستريح من وجهك !

الغصن : (**عاتبا**) هيه ... أين تجدين ولدا مكانى ! ما عدتما أنت وأبى تقدران أن تصنعا أولادا ... (**يضحكن**) .

الغصن : (**يلتفت إلى أخته**) البركة فى ميمونة وحماد !

أم الغصن : (**تنهره غاضبة وتهم بضربه**) حماد من يالكع ؟

الغصن : (**يثب مبتعدا عن أمه وهو يحمل الدمية إلى صدره**) حماد ابن عمى .

أم الغصن : اخرس !

الغصن : (**يدنو من أخته ميمونة كأنما يلوذ بها**) نسيت يا أمى أنه انقلب امرأة .. البركة فى ميمونة وعبد القوى !

ميمونة : (**تنهره**) اخرس !

(تدركه الحيرة ثم يلوذ بالماشطة فتهدئ روعه)

أم الغصن : (تدركها الرقة عليه فتناجيه بحنان) غصن ! غصن ! غصنصن !.

الغصن : (يطمئن قليلا) هيه .

أم الغصن : ما أكملت لنا قصتك يا حبيبى .. هل رأيت أباك ؟

الغصن : (يقبل على أمه فى اطمئنان) كلا يا أماه .. لم أستطع أن أراه . كان الزحام شديدا حول قصر الحاكم ، وتحرك الموكب فسرت أنا معهم ، فبينما أنا ماش فى وسط الناس إذ رأيتهم يشيرون إلى بأصابعهم ويتهامسون ، فارتبت فى أمرهم ، وداخلنى رعب شديد ، ثم سمعتهم يقولون : هذا ابن الشيخ جحا ! هذا ابن الشيخ جحا . فأيقنت أنهم يريدون بى شرا ، فحاولت الفرار ، ولكنهم أحدقوا بى من كل جانب ، ثم شالونى على أكتافهم وأنا أصيح ، سيبونى ! سيبونى ! فما اكترثوا لصياحى ، بل واصلوا سيرهم وهم يصيحون : « سقط الاحتلال ! سقط الاحتلال ! سقط إلى الأبد » فقلت لنفسى : والله إن هذا الذى اسمه الاحتلال لسعيد . فحركت يدى ورجلى لأسقط إلى الأرض كما سقط الاحتلال إلى ... إلى الأبد ، ولكنى لم أقدر ، وكدت أموت من التعب والكرب (يلهث

متمثلا نفسه حيث كان فوق أكتاف الرجال) آه آه آه آه (يتضاحكن) .

أم الغصن : ثم ماذا ؟

الغصن : ثم ما خلصنى منهم إلا البول .

أم الغصن : ويلك هل بلت عليهم ؟

الغصن : كلا ما بلت عليهم بعد .. قلت لهم أريد أن أبول ، فما التفتوا لقولى فصحت فيهم ! والله لئن لم تنزلونى لأبولن على رؤوسكم ! فأنزلونى عند ذاك ، وانتحيت بعيدا عنهم ، فقعدت أبول وأبول وأبول ، وأولئك الناس ينتظروننى ، حتى صرنا فى ذيل الموكب فعضضت عندئذ لسانى وانطلقت أجرى ... أجرى ... أجرى ، وهم يجرون ورائى ، ولكنى فتهم ، ودخلت من حارة إلى حارة حتى وصلت هنا إلى البيت (يجيل بصره فيما حوله كأنه يريد أن يتأكد) نعم .. أنا الآن فى البيت .... وهذا هو عرجون ! (يسحب الدمية ويطوف بها حول الحجرة) .

ميمونة : (ضاحكة) ويلك يا أبله ... إنما حملوك على الأكتاف إكراما لك من أجل أبيك .

الغصن : هيه .. أتظنيننى مغفلا ؟ إنما أرادوا أن يضعونى فى السجن مكانه ... لقد رأيت ذلك فى عيونهم .

أم الغصن : (**تدنو منه**) اذهب الآن فاغتسل ثم البس ثيابك الجديدة ... ثياب العيد يا غصن .

(**يخرج الغصن وهو يسحب الدمية وراءه**)

أم الغصن : (**تطل من الشباك فترتد كالمذعورة**) يا ويلتا .. هؤلاء الرجال قد أقبلوا على بغال فارهة ! بغال القصر ! بغال العز !! لنرفع هذه الأشياء من هنا ! هيا . هيا ! (**تنهمك النسوة الثلاث فى حمل أدوات الزينة ثم يخرجن بها مسرعات**) (**تعود أم الغصن وحدها فتسمع حركة الرجال قادمين فتجيل طرفها فى الحجرة وتلتقط بعض السواقط ثم تخرج مهرولة**) (**يظهر حماد أولا وقد ارتدى ثياب الحرس السلطانى فيقف على الباب كأنه يأذن لهم بالدخول ، فيدخل عبد القوى وبعض حاشيته ثم القاضيان اللذان كانا مساعدى جحا فى الديوان ثم جحا**) .

جحا : مرحبا بكم جميعا .. اجلسوا يا أصحابى الأعزاء .

(**يجلسون ما سوى جحا وحماد**)

جحا : بيتنا هذا صغير ولكنه اليوم حر طليق !

عبد القوى : أجل يا قاضى القضاة ، الوطن كله اليوم حر طليق . هيا ادخل أولا إلى أهلك وعيالك ليروك .

جحا : أجل أنتم على الرحب والسعة (**يشير لحماد أن يتبعه**

فيتردد حماد قليلا ثم يخرج خلف عمه) .

القاضى الأول : هذا والله يوم عظيم !

القاضى الثانى : أجل والله لقد سلخت خمسا وخمسين سنة ما أذكر أن الناس فرحوا يوما كفرحهم اليوم .

الأول : سبحان الله ! من كان يظن أن هؤلاء سيخرجون ؟

عبد القوى : الحمد لله .. هو الذى أخرجهم بحوله وقوته لما صدق الشعب فى الجهاد واتحدت كلمته .

(يدخل حماد فيدير أقداح الشراب على الحاضرين ، وحين يقف أمام عبد القوى يتبادل وإياه الإشارات وهما يتبسمان) .

جحا : **(يدخل مستبشرا ومعه الغصن وقد ارتدى ثيابا جديدة)** أهلا بكم وسهلا ، هذا الغصن ابنى ... سلم يا بنى على أعمامك !

الغصن : **(يصافحهم واحدا واحدا وهو يتطلع إلى وجوههم فى شىء من الحذر حتى إذا وصل إلى عبد القوى قال له فى حياء)** أنت الذى كنت ترسل إلينا اللوز والجوز والحلوى !.

عبد القوى : **(ضاحكا)** نعم ... هل كانت تعجبك ؟

الغصن : جدا .... يا بخت ميمونة !!

عبد القوى : **(للقاضى الأول)** هيا يا سيدى القاضى لننته من عقد

الزواج الساعة حتى ننصرف ..

جحا : فيم العجلة !

عبد القوى : يجب أن ندعك تخلو إلى عيالك وتستريح .

(يجمع حماد الأقداح)

القاضى : هيا إذن على بركة الله !

(يتقدم عبد القوى وجحا فيجلسان بين يديه ، ويد أحدهما فى يد الآخر) (يومئ جحا لحماد فيحمل حماد الأقداح ويعطى بعضها للغصن فيخرجان) .

جحا : **(بعد أن ألقى القاضى خطبة النكاح المأثورة)** يا عبد القوى زوجت موكلك حماد ابن أخى ، ابنتى البكر ميمونة ، بمهر قدره أربعة أواق من الفضة ، على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

عبد القوى : قبلت تزويجها لموكلى المذكور ، بالمهر المذكور ، على الشرط المذكور .

القاضى : شهدنا على ذلك والله خير الشاهدين .

(تسمع زغردة النساء من الداخل) .

(يدخل حماد فيصافحهم واحدا واحدا وهم يهنئونه ويباركون له) .

عبد القوى : **(ينهض)** هيا بنا يا قوم ننصرف .

(ينهض الجميع وقوفا لينصرفوا)

(**تسمع حركة على الباب ثم يرن صوت أم الغصن عاليا**) .

أم الغصن : (**من خلف الستارة**) ويلك يا جحا ما هذا الذى صنعت ؟

جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. (**يتقدم نحو الباب**) ما خطبك يا أم الغصن ؟

أم الغصن : (**بأعلى صوتها**) ويلك يا شيخ السوء لمن عقدت على ميمونة !

جحا : لزوجها يا أم الغصن .

أم الغصن : لزوجها من ؟

جحا : يا هذه لا ترفعى صوتك أمام الجميع ... استحى !

أم الغصن : أستحى ! أستحى ممن ؟ دعهم يسمعوا جميعا .

(**يومئ عبد القوى للحاضرين أن انصرفوا فينصرفون متسللين ويبقى هو مع جحا وحماد**) .

جحا : (**متوسلا**) حنانيك يا أم الغصن ....

أم الغصن : عقدت لحماد يا شيخ السوء ! أين القاضى الذى ساعدك على هذه الخدعة المنكرة ، أين هذا الذى اسمه عبد القوى !؟

(**تقتحم الستارة داخلة**)

عبد القوى : نعم يا سيدتى أم الغصن .

أم الغصن : كيف ارتضيت لنفسك أن تكون مطية لهذا الشيخ وابن أخيه ؟!

عبد القوى : هدئ من غضبك يا أم الغصن ... ماذا حدث — لا سمح الله — ؟

أم الغصن : ماذا حدث ؟ أليس الاتفاق بيننا على أنك أنت الذى ستتزوجها ؟ فكيف تركتها لحماد ؟

عبد القوى : يا سيدتى إن حمادا أجدر بها منى .

أم الغصن : كلا لا أزوجها له أبدا .

عبد القوى : ألستم قبلتمونى لأنى من رجال القصر ؟

أم الغصن : قبلناك لتتزوجها أنت لا لتزوجها لغيرك .

عبد القوى : فحماد قد أضحى اليوم من رجال القصر .

أم الغصن : ألأنه جاءنا مرتديا هذه الثياب المستعارة ؟ ويلكم أحسبتمونى بلهاء تجوز علىّ حيلكم وألاعيبكم ؟

الغصن : لكن حماد يصلح اليوم يا أمى لميمونة . قد زال عنه السحر فانقلب مرة أخرى إلى رجل !

أم الغصن : (تنهره) اسكت أنت يا ولد !

الغصن : (لحماد) قل لها أنت يا أبله ... قل لها إنك لن تدخل الحمام مرة ثانية !

أم الغصن : اخرس يا جلنفع ! أقفل فمك ... إياك أن تفتحه بكلمة (**يضم الغصن شفتيه بيده اليسرى ويشير**

لحماد بيده اليمنى كأنه يحرضه على أن يشرح هذه الحقيقة لأمه ، وحماد يشير له أن يسكت) .

عبد القوى : أقسم لك بالله يا أم الغصن لقد أنعم عليه مولانا السلطان اليوم فجعله رئيس حرس القصر وأهداه بيتا وأقطعه أرضا .

أم الغصن : ولو ! والله لو جعله ولى عهده ما قبلته لبنتى !

عبد القوى : يا سيدتى والله لولا أن ابنة عمه أحق به من غيرها لزوجته لأختى !

أم الغصن : خذه لأختك واكفنا شره .

عبد القوى : إن كان يريدها زوجة ثانية فمرحبا به .

جحا : قد كانت الأولى ميمونة وقضى الأمر ؟

أم الغصن : اسكت يا ربيب السجون !

عبد القوى : يا أم الغصن كيف تعيرين زوجك بأشرف ما عانى مجاهد فى سبيل وطنه وأمته ؟

أم الغصن : قد دخل السجن وكفى ! لو كان فيه خير ما سجنوه !

عبد القوى : يا أم الغصن .. بارك الله لحماد فى ابنتك وبارك لها فيه !

أم الغصن : لا بارك الله له فى أحد !

عبد القوى : يا أم غصن .. غدا تعلمين أننا قد نصحناك وصدقناك . (**يتوجه نحو الباب الأيمن لينصرف فيشيعه حماد حتى يخرج**) .

أم الغصن : (**تنطرح على الأريكة باكية**) قد فعلتها يا سليل جحوان .

جحا : (**متلطفا**) يا أم غصن والله ما علمت بهذا الأمر إلا اليوم .. هذه مشيئة الله لا راد لمشيئته . أين ميمونة ؟

أم الغصن : (**فى ذهولها وبكائها**) قد أخذها الصعلوك ابن الصعلوك .

جحا : (**ينادى**) ميمونة ! ميمونة !

ميمونة : (**صوتها**) لبيك يا أبى . (**تظهر على الباب فرحة متهللة**)

جحا : تعالى كلمى زوجك .

(**تتقدم ميمونة قليلا فيقبل إليها حماد فيقبل جبينها قبلة الزواج**) .

جحا : أين نساؤك ليزغردن ؟ زغردى يا أم العروس .

أم الغصن : (**صائحة باكية**) كلا والله لا أرفع صوتى إلا بالنواح !

جحا : يا هذه إن غرت من هذا البطل وعروسه فدونك البطل الكبير ، وهو فى شوق إليك بعد هذا الحبس الطويل ، فهلمى بنا نصنع مثلما يصنعان .

أم الغصن : اسكت . لا كلام لى معك .

(**يشير جحا للعروسين بالخروج ولابنه الغصن**

كذلك فيخرجون)

جحا : (**يدنو منها مواسيا ملاطفا**) حقك على يا أم الغصن .. يا قرة العين يا برد الفؤاد . (**يحاول ضمها إليه فتدفعه عنها**)

أم الغصن : إليك عنى يا شيخ السوء .

جحا : حمدك اللهم إذ لم تجعل طلاقنا فى أيدى نسائنا وإلا لطلقتنى أم غصن منذ أربعين سنة .

أم الغصن : (**تضحك قليلا ثم تكف**) اسكت .

جحا : وإذن لظللت بعدها أعزب طول عمرى . فأى امرأة ترضى أن تتزوجنى بعد أن تكون أم غصن قد طلقتنى بالثلاث ؟

أم الغصن : (**تغالب الضحك**) اسكت يا جحا ... اغرب عن وجهى .

جحا : وهل أنا يا حبيبتى قمر فأغرب ؟ القمر وحده (**يشير إليها**) يستطيع أن يشرق على إذا رضى ، ويغرب عنى إذا سخط !

أم الغصن : (**فى دلال**) جحا !

جحا : نعم يا روح جحا .. يا حياة جحا . يا ...

أم الغصن : أين هذا المحتال وصاحبته ؟

جحا : أجل ... هذا المحتال الأثيم . (**يدنو من الباب فينادى**) حماد ! يا حماد !

حماد : (**صوته**) لبيك يا عمى (**يدخل وتدخل ميمونة خلفه ثم الغصن**)

جحا : (**يتصنع الغضب**) تعال يا صعلوك ابن صعلوك ... بس رأس خالتك أم الغصن .

حماد : (**باسما**) وأبوس قدميها يا عمى . (**يدنو منها فيقبل رأسها**) .

أم الغصن : (**فى تأثر**) مبارك يا حماد .

حماد : (**يقبل يدها فى فرح**) الحمد لله . الحمد لله .

أم الغصن : مبارك يا ميمونة .

ميمونة : (**تندفع إليها فتعانقها**) سلمت يا أماه . بارك الله فيك يا أماه . (**ينتبذ حماد وميمونة ناحية فيتناجيان**)

أم الغصن : (**لجحا**) لقد غلبتمانى أنت وابن أخيك .

جحا : لا تبتئسى ... إن غلبناك فنحن اثنان بل ثلاثة وأنت واحدة . (**يأخذ بيدها فيسير بها جهة الباب**) دعينا الآن نغلب هذين الحبيبين المتصابيين !

الغصن : (**واقفا ينظر تارة إلى أبيه وأمه وأخرى إلى أخته وزوجها**) وأنا يا أبى أين أروح ؟

جحا : العب الآن يا غصن فى الشارع .

الغصن : فى الشارع تحت ؟

جحا : نعم ... فى الشارع تحت .

(يخرج الغصن من الباب الأيمن ثم يخرج جحا وامرأته ثم يتلوهما العروسان)

(يخلو المسرح لحظة ثم يدخل الغصن من الباب الأيمن وهو يجر دمية الديك فى أناة حتى يخرج من الباب الأيسر)

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) إخناتون ونفرتيتى
(٢) سلامة القس
(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج
(٥) الفرعون الموعود
(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس
(٨) روميو وجولييت
(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر
(١١) السلسله والغفران
(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم
(١٤) أبو دلامة
(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة
(١٧) ماسأة أوديب
(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع
(٢٠) شعب الله المختار
(٢١) إمبراطورية فى المزاد
(٢٢) الدنيا فوضى
(٢٣) اوزوريس
(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران
(٢٦) إله إسرائيل
(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة
(٢٩) جلفدان هانم
(٣٠) فى ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات
(٣٢) الشيماء
(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق
(٢) معركة الجسر
(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك
(٥) تراب من أرض فارس
(٦) رستم
(٧) أبطال القادسية
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل
(١١) عمر وخالد
(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة
(١٤) حديث الهرمزان
(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية
(١٧) فتح الفتوح
(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس

على أحمد باكثير : (١٩١٠ ـــ ١٩٦٩)

ولد على أحمد باكثير فى مدينة « سورا بايا » باندونيسيا ، من أبوين عربيين من حضر موت . وأرسل وهو دون العاشرة إلى حضر موت حيث نشأ وتلقى ثقافة إسلامية ، ثم غادرها ليتجول فى عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة ، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام يتنقل بين مكة والمدينة والطائف .

وقد بدأ حياته الأدبية بنظم الشعر ، فنظمه وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، ونظم قصيدة « ذكرى محمد » وهو فى الخامسة والعشرين . وبعد الشعر اتجه إلى كتابة القصة المسرحية .

وقدم باكثير إلى مصر سنة ١٩٣٤ ، والتحق بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠ .

واشتغل بالتدريس فى المدارس الثانوية من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم نقل بعدها إلى « مصلحة الفنون » وقت إنشائها ، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد القومى .

وحصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ ـــ ١٩٦٣) حيث أنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن عمر بن الخطاب ، وهى من أروع ما كُتب حتى الآن .

مؤلفاته القصصية : سلامة القس ، وإسلاماه ، ليلة النهر ، الثائر الأحمر ، سيرة شجاع .

مؤلفاته المسرحية : إخناتون ونفرتيتى ، قصر الهودج ، أوزوريس ، الفرعون الموعود ، مسمار جحا ، دار ابن لقمان ، شيلوك الجديد ، قطط وفيران ، عودة الفردوس ، مأساة أوديب ، إلٰه إسرائيل ، سر الحاكم بأمر الله ، سر شهر زاد ، هاروت وماروت ، السلسلة والغفران ، شعب الله المختار ، الدكتور حازم ، إمبراطورية فى المزاد ، جلفدان هانم ، أبو دلامة ، الدنيا فوضى . ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية ، إن لم يكن أعظمهم .